

الأجسادُ وظلالُها

الكتاب: الأجسادُ وظلالُها

جنسه: رواية قصيرة NOVELLA

المؤلف: هيثم بهنام بردى

صورة الغلاف: المؤلف عام ١٩٧٦

الطبعة: الأولى ٢٠١٧

:ISBN

الإخراج الفني: دار أمل الجديدة



سورية - دمشق

جوال ٠٠٩٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ - ٠٠٩٣٩٣٢٠٠٢١٢٦

هاتف: ٠٠٩٣١١٢٧٢٤٢٩٢

**E-mail: ammarkordia@yahoo.co**

حقوق الطبع محفوظة: لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved, Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, Electronics, mechanical photocopying, recording of otherwise, without prior permission in writing of the publisher.

هيثم بهنام بردى

# الأجسادُ وظلالها

رواية قصيرة

NOVELLA





## المقدمة

# الأجساد وظلالها أفق التجريب ما بعد الحدائري

د. خليل شكري هياس

ناقد وأكاديمي عراقي

الرواية القصيرة نوع روائي يشغل بتوظيف روائي خاص للتقانات السردية، يختلف عن التوظيف السردى القصصي مثلما يختلف عن التوظيف الروائي الطويل أو الرواية الجيلية، من حيث الشخصية والحدث والزمان والوصف والحوار وكيفية بأرنتها وسردنتها في المتن الخطابى الروائى القصير، ولم يعد تصنيف الرواية القصيرة في هذا النوع التجنيسي قائماً على مسألة الكم المرتبط بعدد محدد من الكلمات كما كان المفهوم السائد يقوم عليه، ورواية (الأجساد وظلالها) للروائي هيثم بهنام بردى جسدت على نحو وافٍ هذا التمايز الدقيق بين الرواية القصيرة والرواية

غير القصيرة من جهة، وبينها وبين القصيرة غير القصيرة من جهة ثانية.

ولعل من أهم ميزات هذا العمل اللعب على التلاحقات الأجناسية، الذي غالباً ما يقود إلى التهجين الأجناسي بين الأنواع أو الأجناس الأدبية، وهيثم في هذه الرواية، لا يكتفي عند هذا الحد، بل يعمد إلى خلخلة المفاهيم الأجناسية، عندما يبدأ إستهلاله الروائي بسارد ذاتي مقنّع يبدو للوهلة الأولى أنه يفضُ الشراكة مع المؤلف القابع باسمه الشخصي على لوحة الغلاف، والذي يكتشف كنزاً جاثماً في ((زجاجة مطمورة في عسجد محيطي من رمل ثقيل)) تمثل في لفائف أوراق مدسوسة في سيرة رجل يوجه خطاباً رسائلياً إلى الروائي المشهور عبد الرحمن منيف، لكنه سرعان ما يتماهى معه ثانية عندما يكشف عبر النص أن الذي يوجه خطابه إلى عبد الرحمن منيف هو هيثم بهنام بردي الذي يتولى السرد بضمير الذات على طول مسار السرد في الرواية، وهو بهذه اللعبة يضعنا في مفترق طرق ثلاثة، تقود كل طريق منها إلى منطقة روائية مختلفة، هي:

الرواية: وهو ما يبوح به العنوان المذيل للمتن بـ (الرواية القصيرة) وكذلك جل التقانات السردية التي قام عليها المتن الحكائي.

الرواية الرسائلية: وهي عمل سردي روائي يستند في مدونته الروائية إلى سرد مخصوص آني يخاطب فيه المرسل مرسلأ إليه محددأ، وبينهما ميثاق قرأني رسألي، ويخضع خضوعأ كأملاً لسلطة الأنا الكأبة، وسلطة الزمن الأني لحظة الكأبة، وسلطة الظروف الزمكانية والنفسية والاجتماعية المحيطة بالكاتب، ونرصدها من خلال طبيعة الخطاب الموجه إلى عبد الرحمن منيف والذي جاء على نحو واضح وصريح في مستهل رواية هيثم المروية على لسانه: ((الدكتور عبد الرحمن منيف المحترم.

أستاذي الروائي الذي لا يبارى.

تحية ومحبة...))

إذ تكشف العتبة التوجيهية الرسائلية عن رؤية روا- سائلية تبوح بها الرسالة، بوصفها الجسر الخطابي بين الراوي والمروي له، وتقوم على منظور سردي بؤري تحضر فيها الذات الراوية بوصفها المحور الرئيس للسرد، كما يحضر مروي له خاص أيضا هو عبد الرحمن منيف، الذي يأتي حضوره ليجنس على نحو صريح الرواية بـ (الرواية الرسائلية).

الرواية السيرداتية: وهي أيضا عمل سردي روائي يستند في مدونته السردية إلى سيرة المؤلف الذاتية، وتختلف عن



السيرة الذاتية الروائية التي تكون في الأساس سيرة ذاتية مكتوبة بسرد روائي، وقد تمثل في هذا العمل على نحو خاص وشاخص في موثيق قرائية متعددة، أبرزها حضور هيثم باسمه الشخصي في أكثر من مكان في المتن، كما يتمثل بحضور أخيه الشاعر المعروف زهير بهنام بردى الذي يحضر هو أيضا باسمه الشخصي في أكثر من مكان في المتن.

ولا تقف الخلخلة القرائية الأجناسية عند هذا الحد، بل تجاوزها إلى السرد اليومياتي الذي يعد أيضا نوعاً أدبياً سيرداتياً قائماً على سرد آني حر غير مقيد بتحببك الحدث بقدر ما هو معنى بسرد إنشالات الموقف الناجم من الحدث والذي يلح عليه ليكتبه، وغير خاضع للترتيب الزمني المتسلسل أو المحكم، بقدر ما معنى بتوصيف صورة معينة أو حدث ذي طبيعة عاطفية، ولا تعمل فيها الذاكرة كما تعمل في السرد السيرداتي، إذ إنها في المتن السيرداتي معنية بإيجاد الروابط الزمنية والحدثية على طول مسار السرد في حين أنها في السرد اليومياتي لا تراعي ذلك مطلقاً. وقد تمثل في المتن الروائي لهيثم في ست يوميات، جاءت الثلاث الأولى متسلسلة من رقم (١) إلى رقم (٣)، في حين جاءت الثلاث الأخر غير متسلسلة ومتباعدة حوت رقم (١٦)

و(٤٠) و(٩٠)، في قصدية واضحة للتسريع بالسرد .  
وأخيراً يمكنني القول وبكل ثقة: إن هذه الخلطة القرائية  
لطبيعة التوظيف الأجناسي للرواية والتي تقودها إلى منطقة  
التهجين والتلاقح مع أكثر من نوع وجنس أدبيين، إنما تدفع  
بالرواية إلى منطقة تجريبية جديدة للرواية تجعلها تدخل  
حقل ما بعد الحداثة بجدارة واستحقاق عاليين.

٢٠١٥/٧/٢٢



تلمستُ أناملي، وجسدي يتجنب أيَّه أسفنجية زاهية  
من كتل خرسانية بقامة غطاس ربعة الطول، عنق زجاجة  
مطمورة في عسجد محيطي من رمل ثقيل، سلطت عليها  
كشاي الساطع الذي يطوق هامتي كإكليل من ليلك أستغور  
ماهيتها، كانت بين صخرتين تشبهان كلاباً صلباً يقبض  
عليها بإصرار عجيب، جلست القرفصاء واستلكت من  
حزامي البارق آلة شفافة ذات حواف قاطعة ماضية،  
وعالجت ذراعي الصخرتين بحذق، فتحررت ولبدت في كفيَّ  
يدي، قربتها من عيني، كان الكلس يغطي جسدها،  
فوضعتها في أحد الجيوب الجلدية خلف ظهري، وجسدي  
يتنصت لكيونوتي.

- يبدو أنني عثرت على كنز!!.



وأنا أقتعد الكرسي المنسوج من خوص الجيل الخامس  
للنخيل المعدل المصهور في ألياف الزجاج تحت المظلة  
المفروشة فوق رمال الساحل، والشمس تتأغي الضحي  
الرائق، تأملت القنينة بإمعان، خمنت أنها عتيقة جداً، وإنها  
لا تمت إلى القرن الثالث والعشرين في منتهاه بأية وشيجة،  
وفي داخلها سرٌّ أو لغزٌ، عصرت عنقها بسبابتي وإبهامي،  
ولكنها تمنعت بغنج فتاة مراهقة، حاولت ثانية فإزداد  
تمنعها، ولاحظت أنها مسورة بلاصق تماهى مع زجاج  
العنق، فاضطرت إلى استعمال مفك اللواصق الليزري  
الأمين، وغب محاولة غير متعبة طاوعني اللاصق وذاب  
متبخراً، استأفت خياشيمي رائحة العتق المهمور والموسوم  
بزمن تليد غابر، ولا ادري لم تخيلت الحكايات التي كانت  
تتندر بها جدات أجداد أجدادنا عن الأفاعي العملاقة التي  
تحرس الكنوز، أو العفاريت المردة وهي تنعتق من قمقمها  
بعد احتباس اجباري لعصور عديدة، ويطلب من مالكة  
وبشتى الطرق أن يأمر حسب، فطلباته أوامر يحتم  
تنفيذها، ضحكت في سري على نفسي التي تعقلن كل شيء  
وتتأى بالخيال كونه عائقاً ولو للحظات أمام لحظة تخدم

العلم والعالم، أدرت السعادة بيسر فانفتح جو القنينة للغز،  
وداهمتي، بل تملكنتي، بل استعبدتني حالتان تماثلان حالتي  
مكتشف الأهرامات.

الأولى: طعم الهواء الطافر من أحشائها الذي دوّخ  
حواسي وأزكم انفي وزجني في عاصفة متواشجة من عطاس  
حاد مؤلم حسبتهُ سيصّفني إلى أبد الدهر.

والثانية: كنه تلك اللفافة من الأوراق المركونة في قعرها .  
همست لنفسي وأنا أُدخل مسباراً ليزرياً حريراً من  
عنقها نحو القاع، شلت اللفائف وعامدتها ثم التقطت  
حافتها الخارجة بخجل عذراء خارجة للتو من الشرنقة،  
سحبته بلاقط زجاجي متماه مع حرير محاولاً قدر الجهد  
أن لا يتمزق منها شيء، شوقي لمعرفة ما هيها أنساني  
ارتداء الكفوف المعقمة والتكمم بأنسجة الهواء الساخن،  
وضعتها أمامي على المنضدة فتدحرجت في حركة لولبية  
وهي تطقطق تماماً مثل مفاصل أولئك الشيب الذين  
أبصرهم في دار العجزة غب الرياضة الصباحية وقبل ان  
تتهاوى من حافة المنضدة التقطها، وبسطتها عليها بعد أن  
فككت شريطها الذي حال لونه فصار يستجدي أي طيف،  
فككت شريطها بعناية وبسطتها أمامي، كانت لفائف من  
أوراق مكتوبة بقلم جاف وبخط أنيق، وبدأت أفك طلاسمها

حرفاً حرفاً، سطرّاً سطرّاً، ورقةً ورقةً، وبعد وقت لم استكنه دقائقه رفعت رأسي عن آخر ورقة، أنظر الساحل الفسيح المبرقش بالأضواء، وأدركت أن آهاب ذلك الزمن القاسي الرهيب كان مجرد حلم يقظة - قياساً لي -، وتأسيت على اناس ذلك العصر، الذين عاشوا رماد ذلك العصر، وتلك الحياة المرعبة في المدى الواسع لذلك الإقليم الجميل من العالم الذي يسمى الآن إقليم رقم ( ٥ ش)، وما ورد الآن في المخطوطة التي قرأتها للتو لا يمكن أن يصدقه المرء، بأن هذه الإقليم الرافل الآن في فيض الرخاء وحرية التعبير، هو وليد ذلك الإقليم الذي وردت تفاصيله في سياق هذه المخطوطة النادرة عما عاناه إنسان ذلك الزمن القصي، ليس بمعناه الجيوغرافي والبشري والاجتماعي حسب، بل القصي عما كان يلفه من جور وإجحاف وتسلط وحيث... الخ، وما لفت نظري أيضاً إن هذه الحكاية أو القصة أو الواقعة، لنسميها أيا منها، لقبّت، كما ورد تحت العنوان الرومنطريقي (شرق المتوسط من جديد، وجديد، وجديد....) من قبل انسان اسمه (هيثم بهنام بردى) وهي أشبه بمذكرات أو أدب الرسائل معنونة في التصدير إلى (الدكتور عبد الرحمن منيف)، وان هذه القطعة الأدبية مذيلة بتاريخ (آذار ١٩٧٨).

ضغطت على زر في جبهة حافظة صغيرة من لدائن تطوق  
معصمي فانبتق منه مربع صغير من نقاط ضوئية بارقة  
نقلت إلى ذاكرتي سطوراً تقول:

من ويكيبيديا... مستهل القرن الحادي والعشرين...  
معلومات ميسرة مقتضبة عن الاسم المطلوب الذي استلم من  
قبل الذاكرة وبالتبثة مع المواطن S19903313 المسجل في  
بنك المعلومات الكوني، والتي وردتنا وبإسهاب معلومات ضافية  
عن الاسم وكما يلي:



## عبدالرحمن المنيف

عبد الرحمن المنيف (١٩٣٣ - ٢٤ يناير ٢٠٠٤) اسمه الكامل: عبد الرحمن إبراهيم المنيف، ينتمي إلى قرية قصبيا بمنطقة القصيم الواقعة وسط المملكة العربية السعودية، كان والده من كبار تجار العقيلات الذين اشتهروا برحلات التجارة بين نجد والشام واسم شهرته ((عبد الرحمن المنيف)).

يعد عبد الرحمن المنيف أحد أهم الروائيين العرب في القرن العشرين؛ حيث استطاع في رواياته أن يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي العربي، والنقلات الثقافية العنيفة التي شهدتها المجتمعات العربية خاصة في دول الخليج العربي أو ما يدعى بالدول النفطية، ربما ساعده في هذا أنه أساساً خبير بترول عمل في العديد من شركات النفط مما جعله مدركاً لاقتصاديات النفط، لكن الجانب الأهم كان معاشته وإحساسه العميق بحجم التغيرات التي أحدثتها الثورة النفطية في صميم وبنية المجتمعات الخليجية العربية.

يُعد منيف من أشد المفكرين المناوئين لأنظمة كثير من الدول العربية. من أشهر رواياته "مدن الملح" التي تحكي قصة اكتشاف النفط في السعودية وهي مؤلفة عن ٥ أجزاء، ورواية شرق المتوسط التي تحكي قصة المخابرات العربية والتعذيب في السجون.

### **نشأته وتعليمه :**

ولد عبد الرحمن المنيف في عمان - الأردن عام ١٩٣٣ من أب سعودي ومن أم عراقية. درس في الأردن إلى أن حصل على الشهادة الثانوية ثم انتقل إلى بغداد والتحق بكلية الحقوق عام ١٩٥٢ ثم انخرط في النشاط السياسي هناك، إنضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي إلى أن طُرد من العراق مع عدد كبير من الطلاب العرب بعد التوقيع على حلف بغداد عام ١٩٥٥ لينتقل بعدها إلى القاهرة لإكمال دراسته هناك. في عام ١٩٥٨ انتقل إلى بلغراد لإكمال دراسته فحصل على الدكتوراه في اقتصاديات النفط لينتقل بعدها إلى دمشق عام ١٩٦٢ ليعمل هناك في الشركة السورية للنفط ثم انتقل إلى بيروت عام ١٩٧٣ ليعمل هناك في مجلة البلاغ ثم عاد إلى العراق مرة أخرى عام ١٩٧٥ ليعمل في مجلة النفط والتنمية. غادر العراق عام ١٩٨١

متجهاً إلى فرنسا ليعود بعدها إلى دمشق عام ١٩٨٦ وقيم فيها حيث كرّس حياته لكتابة الروايات، تزوج منيف من سيدة سورية وأنجب منها، عاش في دمشق حتى توفي عام ٢٠٠٤.

## مؤلفاته:

- ١- الروائية:
- الأشجار واغتيال مرزوق - ١٩٧٣ .
- قصة حب مجوسية - ١٩٧٤ .
- شرق المتوسط - ١٩٧٥ .
- النهايات - ١٩٧٧ .
- حين تركنا الجسر - ١٩٧٩ .
- سباق المسافات الطويلة - ١٩٧٩ .
- عالم بلا خرائط بالاشتراك مع جبرا إبراهيم جبرا - ١٩٨٢ .
- مدن الملح / خماسية روائية (١٩٨٤-١٩٨٩).
- ١ . التيه.
- ٢ . الأخدود.

- ٣ . تقاسيم الليل والنهار .
- ٤ . المنبت .
- ٥ . بادية الظلمات .
- الآن .. هنا (أو شرق المتوسط مرة أخرى) - ١٩٩١ .
- أرض السواد ثلاثية- ١٩٩٩ .
- أم الندور - ٢٠٠٥ .
- ٢- غير الروائية:
- لوعة الغياب - ١٩٨٩ .
- الكاتب والمنفى وآفاق الرواية العربية - ١٩٩١ .
- سيرة مدينة - عمان في الأربعينات - ١٩٩٤ .
- الديمقراطية أولاً .. الديمقراطية دائماً - ١٩٩٥ .
- القلق وتمجيد الحياة (كتاب تكريم جبرا) - ١٩٩٥ .
- مروان قصاب باشي: رحلة الحياة والفن - ١٩٩٦ .
- عروة الزمان الباهي - ١٩٩٧ .
- بين الثقافة والسياسة - ١٩٩٨ .
- جبر علوان .. موسيقا الألوان - ٢٠٠٠ .
- ذاكرة للمستقبل - ٢٠٠١ .
- رحلة ضوء - مقالات ٢٠٠١ .

- العراق هوامش من التاريخ والمقاومة - ٢٠٠٣

- أسماء مستعارة (قصص قصيرة) ٢٠٠٦

- الباب المفتوح (قصص قصيرة) ٢٠٠٦

ربما يكون عمله الأبرز هو رواية (مدن الملح) في خمسة أجزاء: يصف الجزء الأول التغيرات العميقة في بنية المجتمع البدوي الصحراوي بعد ظهور النفط، في الجزء الثاني يبدأ بوصف رجال الأعمال الذين وفدوا على المنطقة الخليجية ودخولهم في تحالفات مع حكام المنطقة، الأجزاء الثلاثة الأخيرة تصف التحولات والتفاعلات السياسية في شبه واضح مع تاريخ حكام آل سعود، هذه الرواية صنفته سريعاً كمعارض لنظام الحكم السعودي ومنعت رواياته من دخول المملكة العربية السعودية -سمح بنشرها مؤخراً في معرض الكتاب بالرياض- وكثير من الدول الخليجية.

الرواية الأخرى التي أحدثت ضجة في العالم العربي كانت (شرق المتوسط)، التي تعتبر أول رواية عربية تصف بجرأة موضوع التعذيب في السجون خاصة التعذيب التي تمارسه الأنظمة الشمولية العربية التي تقع في المنطقة العربية وشرق المتوسط.

لاحقاً ألف منيف جزءاً آخر من شرق المتوسط أسماه:  
(الآن.. هنا) أعاد به الحديث عن التعذيب في السجون لكنه

صورها هنا في بيئة أقرب لبيئة مدن الملح الخليجية.  
ارتبط منيف بصداقة عميقة مع روائي عربي آخر هو  
جبرا إبراهيم جبرا، توجت هذه الصداقة مؤخرا برواية  
ثنائية، قد تكون من الأعمال الأدبية النادرة التي تكتب من  
قبل شخصين ربما على مستوى العالم، والنتيجة كانت  
(عالم بلا خرائط)، التشابك والتناسق الفني لهذه الرواية  
كان على درجة عالية يستحيل معها التصديق بأن هذا  
العمل مؤلف من قبل شخصين اثنين.  
من أواخر أعماله: (أرض السواد) التي أراد أن يتحدث  
فيها عن تاريخ ومجتمعات العراق.  
إنتهى.

\*\*\*

ثم طلبت أسم (شرق المتوسط) التي اشارت اليها السطور  
السابقة، فظهرت لي من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة  
نفسها، هذه المعلومات:  
شرق المتوسط رواية لعبد الرحمن منيف، تعد من  
الروايات السياسية الرائدة، فقد تطرقت بكل جرأة لحال  
المعارضة السياسية في بلدان الشرق الأوسط دون تحديد  
أسماء أو ذكر لمدن وذلك من خلال سيرة مصغرة لمعارض  
سياسي مثقف. كما تميزت الرواية بتقنيات روائية حديثة

اعتبرت من أول الروايات التي أسست لجيل روائي ما بعد نجيب محفوظ. شرق المتوسط هي رواية جيل كامل من المعارضة السياسية الخارجة من تحت عباءة الجامعة والادبيولوجيات الوافدة - غير المعارضة العمالية التي كانت سائدة قبل ذلك - . تعيش شخصية المعارض حالة من التمزق بين فكي التحرر القومي مع الاستبداد أو الاستعمار الأجنبي لذلك يجد المعارض نفسه بدون أفق شعبي، وقد ركزت الرواية على الداخل العربي المحتقن من خلال تضييقات السلطة على البطل المعارض " رجب" ومنه تفرعت الرواية على تجارب رفاقه السجناء أولاً ثم محيطه العائلي والاجتماعي مبرزة عبثية الصمود في اطار الركود الوطني العام وقسوة السلطة وتعسفها . تكاد تكون هذه الرواية أكثر اللحظات جرأة في تاريخ الرواية العربية فقد لامست المحذور مباشرة ولم تتردد في تفسير واقع السياسة في شرق المتوسط فكانت خطوة لاستقلال هذا النمط من الكتابة الروائية.

\*\*\*\*\*

وأعطيت الاسم الآخر وبالطريقة نفسها، فتواردت إلى  
ذاكرتي هذه السطور:  
القرن العشرون بكامله والثالث الأول من القرن القابل، لم  
تسجل في أي خازنة أو موسوعة أو إنسكلوبيديا... أي  
معلومات عن هيثم بهنام بردى.  
أطفأت الزر فانتظمت الأزرار في الاسوارة وأغلقت على  
معصمي، وتحررت من ربة الصوت النافذ الرخيم المفعم  
بالموسيقى، واتجهت بكليتي نحو المفوفة وأنشأت أقرأ:

\*\*\*\*\*





**شرق المتوسط**  
**من جديد، وجديد، وجديد....**

**کتبها: هیثم بهنام بردی**  
**آذار - ۱۹۷۸**



## شريعة حقوق الإنسان

### المادة ١:

يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

### المادة ٣:

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

### المادة ٥:

لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

### المادة ١١:

(١) كل شخص متهم بجريمة يُعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

(٢) لا يدان أي شخص جراء أداء عمل، أو الإمتناع عن

أداء عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرماً وفق القانون الوطني أو الدولي وقت الإرتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيفها وقت ارتكاب الجريمة.

## خروجٌ من مأزق

لن أحيد عما يفعله الروائيون عندما يتناولون موضوعاً حساساً يمس بنية المجتمع من كافة الأوجه، وخاصة فيما يتعلق بالتابوات المحرمة، أن يؤكد أن ما يكتبه من كوابيس يمكن أن تحدث في أي مكان في العالم ما خلا بلده، في أية دولة آسيوية كانت أم أفريقية، أمريكية لاتينية كانت أم أوروبية..... الخ، في أية دولة تحكمها أنظمة ملكية أم جمهورية إبتلت بالشمولية والدكتاتورية.

لن أحيد أبداً عما يفعله الروائيون فأقول وأكرر ما دونته أعلاه ملايين المرات، في غدوي ورواحي، يقظتي ونومي، صمتي وصراخي، ولن أتحرر من ريقة هذا التكرار الممل لهذا التبرير كي أخرج من المأزق.....

**هيثم**

الدكتور عبد الرحمن منيف المحترم.

أستاذي الروائي الذي لا يبارى.

تحية ومحبة...

من مدينة تقبع شرق المتوسط أزجي إليك جلّ احترامي.  
وبقايا شكيّ على خروجك من هذه المدينة الملعونة  
بالسدومية والموت الذي يُشترى دون دفع قيراط واحد،  
ولازلتُ أتساءل: هل حقاً خرجت من هذه المدينة سالم  
الجسد والروح دون أن تتحسر على عضو منه ارتحل إلى  
اللاشيء، أو سمة من سمات الروح السامية دُقت وقلعت  
بمهاميز الاهانة والشنار، لا أصدق، قطعاً، ولتعذرنى عن  
ثقتي باستنتاجي هذا لكوني بنيته عن معايشة لصيقة  
وأجواء لا تماثل الأجواء التي عشتها حسب، بل هي نسخة  
مصورة منها، وعليه، لن.. ولن... ولا أصدق أنك خرجت  
منها سالماً معافى، سأفعل عندما أراك وأنفحص جسدك  
وحشية روحك بإحساسي المكتوي بتلك الأجواء التي تصيب  
حتى الأرواح بالبرداء جراء الفزع والرعب... لأن خروجك  
من (شرق المتوسط) يعد معجزة المعجزات. تتساءل ربما -  
أيها الموقر - من هذا الرجل؟ - عفواً لاستدراكي، إن هذه

الكلمة (الرجل) فقدت من قواميس النحو والصرف والتداول في هذا الإقليم - من ذا الذي يخاطبني؟، وأنا أقول... بأني لم أرك قط إلا من خلال صورك المنشورة في متون الصفحات الثقافية في الصحف والدوريات وفي زوايا الأغلفة الخلفية لكتبك ورواياتك، والتي أحتفظ بها في أرفف مكتبتي المتواضعة، التي تتزين بما يمور فيها.... ف(الأشجار واغتيال مرزوق) باستشرافها الحثيث للمستقبل اللائط في دياميز الأفق القصي الغامض، و(حين تركنا الجسر) بالبحث المجنون بالأمل/الحلم، ولكن حين يتحقق المرتجى والمأمول، يتساءل بطلك بحسرة وحرقة: كان الحلم سراباً، إذن لماذا تركنا الجسر؟، و(النهايات) والارتباط الأزلي بين الأرض والإنسان، وملحمتك (شرق المتوسط) بمدينتها المعطرة بالإنسان النقي الذي يُفنى ويُرش بالسخام، والذي يتحول إلى دخان يتبدد في فضاء النسيان والتحجيم والضباب عبر منافذ الزنازين السرية في الأيام والليالي وفي الأصياف والشواتي، في الخريف والربيع، فقوافل الرجال والنساء والشيوخ والأطفال تخرج كذكرى منسية من كوى سقوف تينك الزنازين، وتختلط دماؤها ورمادها وغبارها ودخانها بأمواء الليل الحزين الصافن، ومن أصداء تلك الأسماء المغيبة يبيغ اسم رجب... رجب... رجب، رجب أسم



سيغفم الذاكرات والحواس التواقية إلى أفق تشرق فيه شمس  
تغسل الأبدان والأرواح بفيض الطهر والنقاء والسرمدية.  
رجب قافية قصيدة وموسيقى بوح وخفق جناح السيمرغ  
والفينيق والعنقاء، الذي تبقى ذكره تحترق وتولد من جديد  
مُزدهية على جبين الزمان، كل زمان، والمكان، كل مكان...  
وحين أودع السر قبل الزوال في جنان حامد، لم يتوقع أن  
زوج شقيقته هذا سيورثي كل البلاء، وسيكون جواز سفري  
إلى مجاهل غيران العفونة ومتاهاات الشوارع التي ننتها دماء  
الأوادم التي أُهرقت في الشوارع والبساتين وسرايب القصور  
ومزاريب القلاع الجهمة التي تقدد الأجساد الثاوية في أثافي  
المذابح لديمومة النظام وعزّه ورفاهه. والعيون الزجاجية،  
ملايين العيون، الحولاء، الرمداء، الهلالية، البدرية،  
القوسية، العسلية، الزرق، الخضر، السود، حادة، ناهلة،  
ناعسة، جاحظة، وظّفها النظام لتقصي سكنات أناس  
المدينة، فهي تتغرغر في خصاص النوافذ، وتتسجل في  
عتبات الأبواب، وتندحس في شقوق الجدران، وتتحشر بين  
طيات الأسطح، ترصد الصرخة، والنهنية، والعطسة،  
والهمسة، وتوعز للأكف أن تكتب وتكتب الصراخ، والنهنية،  
والعطسة، والهمسة، وبطريقة ترضي النظام في إذكاء تكميم  
الصرخة، وتصفيد النهنية، وإهماد العطسة، ولجم الهمسة،

لكي ينام الاقليم في حشية من ريش الأمان على سطح بحيرة الديمومة.

ربما تتساءل - مرة أخرى - من يكون هذا الأدمي المبتلى بالمدينة المستلقية بدعة طفل مخنوق شرق المتوسط، والمزركشة كسجاد نفيس من خيوط مقصبة مذهبة منسوجة من جلود أجنة مجتثين من أرحام النساء بطريقة متطورة عما سلف من أساليب شائعة متداولة في سائر الأمصار الأخرى، حيث تَقْنن نوري وأعوانه في ابتكار طرق وأساليب جديدة لترويض وإنهاء الضحية، فلتأخذ هذا المثل المعروف لدى القاصي والداني من أناس المدينة الثكالي، فحين ينتشر الخبر من خلل عيون العسس أن ثمة حاملاً في المدينة يحدث ما يلي:

"يتوزع نوري ورجاله على ثلاث فرق تتولى مهامها كآلاتي:

الفرقة الأولى: تقوم بأخذ المرأة إلى (الجنّة) (سمعت أن بعثة علمية على مستوى متقدم تم إيفادها إلى أوروبا واستقدمت هذه (الغرفة/الجنّة) الفريدة على وفق أحدث التطورات في تكنولوجيا الذرة العالمية، فجدرانها زجاجية تبث ألوان الطيف العتمي، ربما تقول - سيدي الروائي النبیه - لماذا الطيف عتمي؟، والمعروف أن الطيف شمسي، وأنا

أعلمك بأن وبكل بساطة أُتهمت المنكوبة بالتجسس ونقل الأخبار إلى منظمة الأمم المتحدة واليونسكو ومحكمة العدل الدولية فأُعتقلت وأُقتيدت إلى قلعة من قلاعها المكيّنة وعُذبت، ثم صدر بيان هام موقّع من قبل حاكم المدينة أذيع من خلل المذياع والتلفاز والصحف، مفاده أن المتهمّة أخلّت بأمن الدولة وتجسّست لصالح دول أجنبية معادية فثبت عليها الفقرة (كذا) من (كذا) من قانون دولتنا المحمية بحاكمها جزاه الله وعلا شأنه، والتي تنص على إنزال عقوبة الإعدام حتى الموت بحق المجرمة الشمس، ولكن نوري ورهطه أنهوا المهمة في - الجنّة - وسحلوا الشمس وهي جثة، صاغرة لمصيرها وعلقوها على أحد أذرع الجسر الحديدي للمدينة.

والأشياء الداخلية للجنّة بها من الغرابة أكثر من العجب، فهي مسعورة بالأضواء البارقة، ومزروعة، كما الزرع تماماً، بالمقايض والعتلات والكرات الحديدية والكلاّبات، تتوزع على أديم أرضها، مثل سنابل ناضجة باسقة، كراسٍ ومناضد وأحزمة، وتتدلى من سقفها، كشآبيب المطر، جبال وسلاسل وخيوط كالحرير، وتستبطن سقفها محاجر ونتوءات وتحزّزات ومقايض وريازات غريبة، لكل منها مهام خاصة تساهم معاً في قنص الأمل بإيجاد أي بصيص في

نهاية النفق في ذاكرة ووجدان وحشايا أية امرأة حامل تجد روحها وجسدها ينوسان في نعيم هذا الجحيم.

الفرقة الثانية: يظهر صف من الرجال بملامح متساوقة في بدلات رصاصية وأربطة بيضاء تلامس باستحياء العذارى قمصاناً مكشكشة تضيء على ملامح الوجوه الحليقة والناعمة سمة النجومية، ولا عمل لها سوى ضرب الصنوج بعضها ببعض بتساوق هارموني يتماهى مع الأصوات الخارجة من جوف الجنّة وهي تحمّم الضحية وتتاغيها وتغازلها، وهي تخرج الجنين برفق من حشاياها، ثم تنهال المقابض والعتلات والجبال وخيوط الحرير وتتهي وبكل رفق وحنان أنفاس المرأة.

الفرقة الثالثة: تقوم، ويكل حنان، برمي جثة الجنين المووود في أفريز ينفث بغتة في أحد الجدران، ثم تعرج بتنظيف الجنّة مما علق بها من دماء بخراطيش ترش ماءً أصفر.

أما ما يحدث للرجال فله حديثٌ ثانٍ قد أعود إليه سيما إنني تشرفت بدخول (الجنّة) ثالث يوم قدومي إلى المدينة قطعاً، أيها المحنك، تروم إماطة اللثام عن هوية محدثك، ولن أراوغ في إعلان هذا، بل إنني أقول وأكتب، وبتواضع حقيقي، إن اسمي هو هيثم بهنام بردى، وتاريخ ولادتي هو

العام ١٩٥٣، فيكون عمري وأنا أظاً عتبه عام ١٩٧٨ خمسة وعشرين عاماً إلاً ثلاثة أشهر، أهوى حد الجنون قراءة القصص والروايات فضلاً عن الشعر والفلسفة وعلم النفس... كنت قبل حين شاباً طويلاً أميل إلى النحافة، لا أملك الوسامة بيد إنني كنت أحوز مواصفات الشاب التي تقبل به الفتاة، وجه طويل حنطي، عينان عسليتان ناعستان، شاربان أسودان يحيطان بشفتين منفرجتين على الدوام للإبتسام، فأصبحت بعد أيام من ولوغي هذا القرش الصفيحي الكئيب الذي سمّيته (شرق المتوسط)، شاباً بالاسم حسب، إحترق شعر رأسي وصدري وتحت إبطيّ وعانتي بعد حفلة كهربية صاخبة، كريم العين، فقدت عيني اليمنى غب إصرار نوري على أكلها، فأقتلعت بملاقط كهرومغناطيسية دون ألم وأشار إلى عبد أن يقلبها بدهن الطفل السوبرمان الذي يستخرج من صهر الأجنة في فرن إلكتروني، وبعد أن تم ما أراد جلس وشمراً عن ساعديه المشعرين وبدأ يأكل، ثم خاطبني...

- لم لا تشاركني؟

كنت أتضور جوعاً فجلست على مؤخرتي وأنا أعد قطع اللحم المقلي في إنائه واستتبط أن ثمة آخرين مثلي فقدوا عيونهم التي ذهبت طبقاً شهياً في طريقه إلى معدة هذا

السفاح، ثم أنشأت أتحمس تفاصيل جسدي: رقبة متورمة بلون الغسق، ذراع متدلّية وقد كسر عظمها الساند، أصابع تبيكي أظفارها، ومؤخرة يقترب تشبيها بالمنخل إلى أي توصيف آخر، وصدر ينعى شعره الأكرت المتشابك وكثرت فيه الندوب المتقيحة - أذكر طرفة لجحا... سألوه ذات يوم عن عدد الأنجم في السماء، فأجاب بمكره الظريف: بعدد شعرات رأسي فإن لم تصدقوا تفضلوا بعدها، ولو سألت أنا لأجبت على الفور بعدد ندوب صدري-. وعضو ذكري متورم - إلا في هكذا تعامل مع المناطق الحساسة في الجسم، فلا زالت طرقهم بدائية، فهم يستعملون نفس الطريقة التي عالجوا بها رجب في هذا النوع من التعذيب، ونما إلى مسامعي، وهم يجترحون الطريقة معي بملل، إن أمراً علوياً صدر بإيفاد لجنة إلى دول لها تجربة عريضة في هذا المجال للحاق بركب الحضارة العالمية في هذا المضمار، ومكان شاحب كانت من قبل تتدلى منه خصيتان و...!؟... أهوى كتابة القصص، ونشرت نقرأ منها في الصحف والمجلات المحلية فضلاً عن إذاعة عدد منها، ومن الهوايات المخبوءة في طيات روعي... السفر، كنت اقرأ عن مدن مخملية، لندن وضبابها الأزلي، بودابست ودانوبها الأزرق، أثينا واكروبولها، باريس وبرجها، روما وتماثيلها، استوكهولم

وثلجها، القاهرة وأهراماتها، وكازا بلانكا وسحرها... الخ، وكانت حسرتي تتعمق وأنا أنقب بطون الكتب التي تتحدث عن مزاياها وسجاياها والسحر والغموض الرائع التي تتسم بها، فقررت أن أستلف مبلغاً محترماً - كوني موظفاً حكومياً -، وأمتنع عن شراء الكتب وفرض التقشف لتوفير مبلغ جيد أحاول أن أحيط بها أكثر من مدينة خلال رحلة الحلم، وعندما عزمتم على السفر سافرت إلى الشمال، إلى مدينة صغيرة تغتسل بالفرح كل شفق وتغفو على أمل غب كل غسق، حيث يعيش أهلي ثم أعلنت لهم الخبر، وبعد الظهيرة خرجت إلى مراتع الطفولة والصبا والشباب وتشممت الأفياء التي خبأت أنفاس وأسرار اليفاع المَعْفرة بأنفاس ملائكة الحب الصغار، وجلست في فيء السنديانة المتفردة التي تحنو على الناعور الذي تتحب دواليبه التي عانقها الصداً بانتظار الحصان الذي نفق ذات صباح صقيعي، وقهقهات الصبية الذين يرتحلون من سنة إلى أخرى من خلال مشاكساتهم للأرانب البرية والحساسين والهداهد والسنونوات الباحثات عن ديفء القرى المتحممة بالشمس المانحة حنيتها دون حساب، ومن ثم إلتمنا أنا وصحبة الشباب البكر في مقهى المدينة العتيق حيث التخت الأزلي لصاحب المقهى الذي يعاند كهولة الجسد بشبوة الروح من

خلال رواحه ومجيئة الملحاح الذي لا يصيبه الكلال قط وهو يهمس لنا من خلال ضحكته المعهودة بقولته الأثيلة: عيشوا حياتكم بكل دقائقها، كما ينبغي أن تعاش... ثم يستطرد ودخان غليونه يتحلق أمامه على شكل حلقات تنعجن في دواخلها سنين عمره الساعية نحو عقدها السابع: كل دقيقة تعاش ينبغي ان تكون مترعة بالفرح... ومن ثم كانت ساعة التجلي في حضرة الحمامة البيضاء بسنينها التي فخرتها الطفولة المتأخرة والمراهقة الساعية إلى النضوج المبكر، التي تعبق حياتي الفتية بفتنة عينيها النجلانيين وسحر شفيتها اللتين ما نطقتا بشيء في حضور روعي المغسولة بالبكارة الهائمة في طهارة روحها، ولكن العيون تنطق بما لا يمكن أن تسعها مساحة كونية من كلمات وهمسات وخلجات، وفي إحدى التجليات النادرة المتواشجة ما بين النابضين بين الضلوع سمعت نحيب حشاها وحشيتها: لا تتركني، لا تترك جزيرتك، إن تركتها يا كبد قلبي ستغرق في لجة التيه، فبكيت، وبكيت،... وبكت، وبكت، وتحلقت الدموع من المآقي بهيئة حمامات بيض ترنق في الفضاء، تعلقو، تعلقو، و.... تعلقو، ثم تعود الى الأرض جسداً يبحث عن الروح...

وبعد العشاء دخلت غرفتي التي لا تتعدى مساحتها المترين والنصف في ثلاثة، والتي لا تسع سوى إلى سريرين



تتوسطهما منضدة كنا نكتب أنا وزهير على متنها أولى محاولاتنا في القصة القصيرة وقصيدة التفعيلة، استلقيت على سريري أسامر الدقائق الناهضة من رقاص الساعة المنضدية العتيقة وتحلّق مفردة جناحيها في الفضاء لتشاكس نديف الضياء الثلجي الماطر من النيون الوحيد للغرفة المصلوب أعلى النافذة الصغيرة للغرفة التي تشهد طقساً حزيناً يتجسد في الهجرة الثانية لإبنها الحبيب بعد أن هجرها قبل حولين عندما تعيّن موظفاً في الصحة في تخوم ومجاهل وأقاصي قرى محافظة الأنبار، وذاكرتي وكينونتي وذاتي تناقشان كنه قراري وطبيعة نزواتي الفجائية التي تتمخض عن مغامرات تبقى عواقبها مخبئة في مطاوي المجهول وسنون عمري لم تحط الرحال بعد في أعتاب محطتها الخامسة والعشرين، وأغمظت موقى حنيتي واطئة عوالم قصية غامضة مغرية ومدن تتحمم بالشمس والألق، وصروح تفوح منها شذا الثقافة والفن والعمارة المذهلة... الخ، وسرح ذهني في حلم حقيقي يتمثل جسدي وهو يقتعد كرسياً يمتد عمره أكثر من قرنين في مسرح تورينو العريق، وأبصاري وبصيرتي تتسقطان أحداث مشهد تراجيدي لمسرحية رومانية قديمة، ثم أستقل عربة الحلم نحو باريس وقصرها الثقايف الأصيل المسمى اللوفر وفي

قاعة أنيقة شاهقة ألاحق هذا الغموض والإشراق والحياة  
المضمرة التي أرهقت فنانها لسنين عديدة كي تبقى لغز  
الأجيال القادمة بمغليق ألغازها العصية على التطور  
التكنولوجي الهائل للنصف الثاني للقرن العشرين وقد أعيته  
الحيلة في عبقرية الريشة التي رسمت الشفتين. ولغزها ..  
هل هما تبسمان ابتسامة اشراق، أم سخرية، ... أو أحاول  
خداع زوار متحف مدام توسو بلندن وأنا أقف كشاحص بين  
تمثالين من شمع لشكسبير وديستوفسكي بحيث أريك  
الزوار وأجعلهم يتسائلون .. من هذا الطويل النحيف الذي  
يقف بين الصرحين؟،،، و.. و.. و...، فتحت عيني لتصطدم  
بعيني زهير وهو جالس بتياب الخروج يتمثلني بعمق وثمة  
حزن عميق يمطر سحاباً أبيض من حدقتيه، تهيأ لي أنه  
أنجز للتو كتابة قصيدة جديد، صرت أعرف هذا من  
التوهان الذي استشفه في عينيه والإحمرار الذي يمهر  
غمازتيه وكأنه خارج للتو من عراق منهك، همست والكرى  
يللم صواريه من بصيرتي.

- كتبت شيئاً جديداً؟

ولإضفاء المرح المهزوم المكوم في اعتاب الغرفة المقرورة،  
أكملت.

- إن صدق حدسي.

سألني زهير سؤالاً مباغتاً .

- أتذكر قصيدة كليب لأخيه المهلهل؟

تفاجأت وسألته مصعوقاً .

- زهير، ما بك؟

سألني وكأنه لم يسمع سؤالِي .

- متى تسافر؟

- صباحاً .

لم تند عنه أية نأمة، نهض متجهاً إلى الشمعدان،  
استبدل ثيابه وعاد الى سريره، سألته .

- هل ستفتقدني؟

من طول صمته حسبته لم يسمع ولكني حينما عاينته  
وجدته ممدداً على ظهره وقد ارتدى وجهه سمات ملك  
ملاحم العالم، ملك أوروك وهو يعاين ببصيرته دون بصره  
صديقه وصنوه أنكيو، وهو في رحلته نحو عالم ارشكيجال  
السفلي الزائل، تركته في عوالمه الزاخرة بطموح يماهي  
طموح ملك الجهات الأربع سرجون الأكدي، ولكن من معي  
في الغرفة يأمل أن يملك نواصي الإبداع من أركانه الأربعة  
وليس الأركان الأربعة للمجد الأرضي المحل،... وعدت إلى  
الأحلام السامقه في أخيلتي وسرحت من جديد في البحار  
نحو ايثاكا حيث بينولوبي تغزل الأحلام القصية المحالة

والتي ستحققها مخيلتي، و.. نفضات أوراق شجرة الزيتون وهي تنقاد لنهوض الحساسين اللابدة في أعطافها فضلاً عن بدء كورال الزقزقة النظمية على الأسيجة والأفاريز جعلني أستيقظ مفعماً بالحياة، فابتسمت لغمازات الفجر المطل على باب الغرفة التي سرعان ما أعتمت ليحتل فضاء العتبة جسد أُمي بوجهها البض وهي تطل عليّ وفيّ بالها إني نائم، فما كان بغريب عليّ جفلتها وهي تحاول النكوص كي لا تنغص عليّ احتفالي الفجري البسيم، نهضت وأسرت لها بنبرة جذلي.

- تفضلي ماما .

قالت وهي لما تزل مسمرة عند العتبة.

- أكمل نومك ولدي .

- أنا مستيقظ يا أماء... تفضلي أدخلي .

فعلت وجلست على حافة السرير تنظر إلى اللوحة المعلقة على الحائط أعلى رأسي التي تفصح عن بحر ساكن، وشمس متألقة باهرة، وشرع سفينة متفردة تبحر نحو أقصى الأفق تزفها أسراب النوارس وزغاريدها، تهاطلت دمعات حرّى من عينيها المحمرتين من نواح طوال الليل، والتفت وقالت بنبرة يتماهى فيها التوسل والأمر.

- لا تسافر؟

هتفت باستغراب.

- لماذا؟

جلست على كرسي قريب وتأملتي بحزن ثم إربدت  
قسماؤها وسرت البرداء في تقاسيمه وهمست مفاجوعة ...

- لم تبارحني الكوابيس هذه الليلة...

سألتها مداعباً...

- تعشيت متأخرة؟

فأجابت وكأنها في عالم آخر...

- في أكثر من صورة، وأكثر من حدث، كنت القاسم  
الأوحد، وكنت تتألم، بل أن الألم في وجهك كان يتألم...

ابتسمت مداعباً...

- إستعارة ساحرة!

وغب فترة صمت.

- إنها مجرد كوابيس.

تابعت بذياك الحزن الشفيف عميق الجذور.

- أكثرها تكراراً، رأيتك فيها مرمياً، بل مصلوباً في أديم  
طبق ذهبي خارج للتو من تنور غريب الشكل والهيئة ورائحة  
الشواء المبتوثة من جسدك تجعل ذلك الغول الخرافي البشع  
يشمر عن ساعديه ويعمل نهشاً بك ثم تستقر بالتدريج في  
أحشائه، ولا يبقى منك سوى كومة عظام على السفرة.

رغم بشاعته إلاّ أني استقرأت الطريقة المتغاممة التي  
سردت فيها كابوسها، فقلت لها ...

- إنه مجرد كابوس.

- قد يتحقق.

- وقد لا يتحقق.

- ولكن هاجس الأم لا يخطئ قط.

قلت لها وأنا موقن تماماً من مصداقية حدسي الذي لا  
يخيب أنها ستحاول برهنة ما تقول بحكاية من حكاياتها  
الزاخرة بالمعاني والدلالات.

- هات ما عندك يا أم.

رغم الكلال والحزن إلاّ أن البسمة ارتسمت على  
غمازتيها كطيف نسمة منعشة.

- ما الجدوى مما أقول؟

قلت لها بمحبة أسرة.

- بل أن ما تسردية جد جميل ومليء بالإشارات والعبر.

- إن اقنعتك الحكاية، هل ستلغي سفرتك؟

- هذا يعتمد على مدى الإقناع.

- ستقتنع إن أحكمت عقلك.

- ربما نعم... وربما ...

قاطعتني بحسم.

- إن كان في رأسك عقل ستقتنع وستطرد هذه الفكرة  
المجنونة.

- هات إذن حكايتك.

إعتدت في جلستها بعد أن تربعت على السرير وقبل أن  
تبدأ نهضت عن السرير ووضعت رأسي في حجرها، تماماً  
مثلاً كنت أفعل في طفولتي، نظرت إلى عينيها وقلت.

- كلي آذان صاغية.

ومثلاً كانت تفعل من قبل وأنا طفل أروض الحكاية من  
كينونتها بلذة تفوق أكواب الحليب التي كانت تعدها لي قبل  
ذهابي إلى الروضة، حدقت بعيداً بعيداً، بعدُ يتجاوز جَدَّ  
العتمة الداجية في الطوار وتحلق صعوداً حتى تصل رؤاها  
وتتبع نبات نعش في نحيبها الأبدي، ثم تعرج نحو الثريا  
لتنهل منها إشراق الحكاية، لتعود وفي هامتها تاج من ضياء  
بارق يخترق العتمة الصلدة الساجية في حشيتي، وينساب  
صوتها الأنثوي الرائق بجرسه الخلاب، الذي يجعلني أوصد  
مآقي بصيرتي وأتنصت بنشوة بالغة:

((في زمان غابر قديم، كان هناك مملكة مترامية  
الأطراف يحكمها ملك عادل.....))

قاطعتها بصوت جهير جعل زهير يتقلب إلى جنبه الأيمن

وينتظم نفسه بعد حين وهو يرتحل بعربته نحو أرخبيلات  
الشعر.

- غلط.

جفلت وقومت حاجبها، وقالت حرده.

- أي غلط؟

من خلل نبرة جذلي تقمصت دور الحكواتية التي كانته  
قبل عقدين من السنين، ونطقت بنبرة يختلط فيها النعاس  
بمحبة الأم الباذخة لأفلاذ كبدها.

- أين الإستهلال؟

- ماذا؟

- - أقصد أين البداية؟

- لم أفهم؟

تتحنحت وبلعت ريقى أيقظت حواسي وقلت بنبرة  
الحكواتي:

((كان يا ما كان في قديم الزمان....))

قاطعني مسترسلة:

((كان هناك مملكة مترامية الأطراف يحكمها ملك

(عادل))

ثم قطعت حكايتها وقالت لي من خلال نبرة ضاحكة.

- قبل ان نبدأ الحكاية نسيت شيئاً مهماً.



قوسّت حاجبي متفكراً، وعندما صار التذكر عالماً قصياً  
عصياً قلت في تسليم.

- لا أتذكري أم.... ما هو؟

- قبل الحكاية، ماذا كنا نفعل.

وتذكرت، فخرج صوتي في صداد أيقظ زهير الذي فتح  
فمه مردداً قبل فتح موقيه، فأنشأت الغرفة الصغيرة ترنم  
أغنية طفولية كنا نتسابق أنا وزهير في ترنيمها ونحن  
أطفال.

دول دول دولية

بابا ذهب الى البراري البعيدة

كي يجلب الدهان والأمشاط

كي أدهن شعرك وأمشط أقدلتك

حتى ينسرح ولا يسخر من شعته أترابك

أنت وأترابك تشتهون أكل البيض

والبيض عند الدجاج

والدجاج لا ينتج البيض دون الحبوب

والحبوب في أهراء العجوز الشمطاء

والعجوز الشمطاء تريد زوجاً

والزوج العجوز من فم القبر

ماء الرب حلو طيب

وماء الشيطان مر شرير

دول دول دولية

ضحكت ملء فمي بفرح غامر وشاركني زهير ثم حدق  
بوجهي بقهر ما استطاع إخفاءة وتصنع النوم. عمدت وكما  
كنت أفعل في زمن الطفولة القشيب إلى تقبيل كفي يديها  
الموشومين وأضعهما على رأسي، فقبلتني من جبيني شاحنة  
كل إشارات المحبة الأمومية التي لا أفق لها، وبعد أن مسحت  
دمعة حاولت الهروب منحدره نحو خدها، إستطردت نافضة  
عن عتق الحكاية غبار النسيان:

((وكان دائماً يزور مدن مملكته العامرة بالرخاء متفقداً  
شؤونها ومتابعاً ما يعتور مسيرة الأمور من منغصات  
ومطبات ومشاكل، ويأمر بمعالجتها على الفور،... وذات  
صباح والحرس يهيه عربته الملوكية دخل حارسه الشخصي  
الأمين وركع أمامه ناكصاً هامته، وعندما أطال ركوعه،  
سأله الملك.

- ما وراءك؟

رفع الحارس رأسه ونظر في عيني الملك للحظة وامظة،  
ثم أطرق رأسه ثانية، وهمس برجاء.

- لا تسافر يا مولاي.

تفاجأ الملك لهذا الرجاء، فسأله على الفور.

- لماذا؟

نهض، وخطا اثنتين خجلتين دون أن يرفع طرفه، وابتهل بصوت مشبوب بالرجاء والحنان.

- أتوسل إليك يا مولاي.

همس الملك بمودة.

- حسن أيها الحارس الوفي، هديء من روعك.

وبعد حين، حين لمح الدم الغائر يعود للتدفق على وجه الحارس، سأله الملك.

- هل هناك مكيدة في القصر؟

- كلا يا مولاي.

هذه النبذة الدافقة بالتوسل والصدق دفعت الملك لسؤال آخر.

- هل هناك عصيان ما في ممالكنا؟

أحنى الحارس هامته ونبر بصدق.

- المملكة تتنعم ببريعة عدالتك يا مولاي.

حار الملك في أمر حارسه الشخصي فسأله بصبر أطل على فضاء النفاذ.

- ماذا هناك يا رجل؟؟؟

تمالك الحارس وربط رباط جأشه، وقال.

- حلمت يا مولاي.

- أجفل الملك، تغيرت سحنته وقال.
- بم حلمت؟!.
- تمالك الحارس نفسه واستطرد .
- أنك هوجمت وأنت في الطريق من قبل قطاع الطرق،
- و..... و.....
- وماذا؟
- ق... ق....
- أجب ولا تخف يا رجل.
- ق..ض....
- لك الأمان، قل...!
- قضى المجرمون عليك يا مولاي.
- ثم استطرد بصوت مرتعص.
- حاشاك يا مولاي.
- وبعد أن بلع ريقه الناشف، تضرع
- أجّل سفرتك يا مولاي.
- هدأ الملك من روعه قائلاً.
- حسناً،... لن أسافر.
- وصرفه خارج القاعة وجلس على كرسي العرش يفكر
- بحلم حارسه الشخصي، كاد يعدل عن وعده للحارس

لإيمانه أن ما رآه الرجل لا يعدو كونه حلمًا، حلمًا حسب...  
ولكن فكرة طارئة جعلته يطلب قائد جنده للحضور إلى  
القاعة على الفور، وحين امتثل أمامه، وأدى التحية الخاصة  
بالمملك، وقال بصوت عسكري مهاب.

- العربية الملوكية وكتيبة الجند تحت أمرتك يا مولاي.  
قال له الملك.

- أجلس يا قائد الجند.

وأشار الى مقعده المخصص في قاعة العرش، واستطرد.

- لي حديث معك.

إنحني قائد الجند أمام الملك، وهتف.

- أنا طوع بنان مولاي الملك.))

قاطعت حكايتها مناكدة وشقاوة كما كنت أفعل في الزمن  
الغابر، وكان الثمن في حينها قرصة أذن لا توجع حتى نملة،  
ولكنها الآن ابتسمت إبتسامة شاحبة وقالت.

- كنت متوقعة هذا...؟

- أن أقاطعك، مثلما كنت أفعل في السابق؟.

سألتي بجديّة.

- هل تريد أن تقول شيئاً؟

- لا يا أم، كنت منفعلة جداً، وأردتك ان تنالي قسطاً من

الراحة.

- سأكمل.
- على راحتك أماه.
- سحبت شهيقاً عميقاً، أغمضت عينيها، وحلقت في أجواء الحكاية، جاءني صوتها:
- (( في المساء دخل قائد الجند والدهشة والذهول ترتسمان على محياه، أدى التحية ووقف، سأله الملك بلهفة.
- ما وراءك؟
- صدق حدس مولاي الملك.
- هل هوجمتم...؟
- نعم.
- والخسائر...؟
- لا خسائر، إهتدينا بخطتك وكان التطبيق رائعاً.
- والمهاجمون؟
- في الزنزانة.
- أجلس على كرسيك يا قائد الجند.
- وحين استوى قائد الجند على مقعده، أسر الملك للحاجب.
- إليّ بالحارس الشخصي.
- وغب وقت قليل امتثل الحارس أمام كرسي العرش،

سجد واستمع لصوت الملك.

- أود أن أعلمك يا حارسي اليقظ الأمين، إن ما حلمت به وأنت في واجبك الرسمي تحقق بخذافيره، وأن العربية الملوكية أُستهدفت من قبل الرعاع، وإنهم الآن في السجن بانتظار تقديمهم للعدالة.

وبعد أن سحب شهيقاً عميقاً أتم حديثه.

- حلمك أنقذ حياتي، وأنقذ سلامة وأمان المملكة. إنغمرت حشايا الحارس في ينبوع من الفرح، وابتهل بحرارة.

- الحمد لله... الحمد لله... الحمد لله.

نهض الملك وقال.

- إليّ بوزير خزانة المملكة.

وبسرعة البرق امتثل الوزير أمامه، فأصدر الوالي القرار

التالي:

- إنني ملك البلاد والعباد، الطامح إلى الحكم بالعدل والمساواة أمرت بما يلي.

صار الحارس أذنأً كبيرة وذاته تتحسب نوع المكافأة، جاءه صوت الملك.

- لكون حرس الملك الشخصي أنقذ حياة الملك وجنّب المملكة سوء العاقبة، فقد أمرت أن تُخلع عليه مكافأة مجزية

جداً، وأن يؤمن له مرتب شهري طوال حياته، وأن.....  
يُصرف من الخدمة فوراً))  
قاطعتها ضاحكاً.

- وستسأليني لماذا صرفه من الخدمة رغم أن حلمه  
أنقذ حياته؟

قال زهير وعيناه مغمضتان.

- لأنه نام أثناء عمله، وهذا إهمال يستحق العقوبة.  
قاطعته بضحكة عميقة.

- ويستحق المكافأة أيضاً.

قالت الأم وهي ترمي إلى هدفها التي قدمت من أجله.

- الأحلام قد تتحقق.

وأعدت عليها جوابي السابق.

- وقد لا تتحقق.

- ولدي!!!.

وسمعنا صوت أبي وهو يسبق إطلالته.

- هي أحلام يا أم زهير.

وأطل والدي بطوله الفارع وهو يبتسم موجهاً كلامه  
لأمي.

- يجب أن تعري في أنهم صاروا رجالاً.

قالت أمي بحدة.



- ما أفسدهم إلاً دلائك.
- انا ما أفسدتهم، بل تركت لهم الحرية في رسم مستقبلهم.
- يبقون أولاداً.
- إنهم رجال يا امرأة.
- لم ينضجوا بعد.
- أنظري اليه، إنه موظف، يعني ذلك إنه رجل يعتمد على نفسه، ويقدم خدمة لبلده.
- وأقول وأكرر أنك أخرجتهم عن طوعنا بدلائك.
- دعيه يتخذ قراراته في خوض غمار الحياة.
- سيضيع هناك، في تلك المدن البعيدة.
- إنه محصن بتربيتنا، لا تجزعي عليه.
- قفزت من السرير واحتضنت أبي وصرت أقبله بشوق ذلك الطفل الذي كان يتلقف قطع السكاكر من يديه المعطائتين أيام الطفولة الرخية، دردمت الأم.
- يحب أباه أكثر.
- أجلست أبي في الجنب الآخر وطوقتهما بذراعيّ وقلت بحرارة ومحبة مقددة.
- أنتما يا أغلى الغاليين فناري في لجة أمواه البحار

## القصية .

وتناغمت نبرة عندليب يبحث عن خُله بصوت الحزين الشجي الذي سرعان ما أبدله بتغريدة مفعمة بالحيور. نظرت أُمي تستشف أغوار بصيرتي قبل بصري علّها تجد ثمة جزيرة من الرجاء في النكوص عن قراري، بيد أنها وجدت أمواجاً تعقب أمواج تسابق نفسها حتى اضمحلّ لها قبل خط الأفق الرصاصي الذي ينذر بعالم هيوولي غامض تضيع فيه حتى الدلافين أصدقاء السفائن التائهة في بحور الظلمات والتي تهدي تلك السفائن إلى الفنارات، ما وجدت في بحر عينيّ سوى أوقيانوساً مترامي الأطراف من العزيمة والعناد والرغبة للجوجة الجموحة، فما استطاعت شكيמתها من إخفاء شهقة تستغور كنه فجيرة قادمة، فتدفقت الدموع من عينيها ينابيع لا تتقطع من سيول نسيمية شفافه، وخرجت مسرعة من الغرفة، وبعد لحظات كنا، أنا وزهير نسمع نحيبها الموجه ونبرة أبي التي تحاول أن تسري توجسها الفاجع ويؤكد لها انني سأسافر وأعود حتماً، وأن الأحلام هي مجرد أحلام، وسمعت زهير يقول لنفسه ..

يقول كليب لأخيه المهلهل ..

وتاسع بيت بالك لا تصالح  
وإن صالحت شكوتك للآلهة

وبعد صمت عرفت أنه سيستبدل كلمة واحدة من البيت  
ليقول لي رسالة، وقبل أن أفك اللغز، إنساب صوت زهير.  
وتوسع بيت بالك لا تسافر  
وإن سافرت شكوتك للآلهة  
ثم وقبل ان أحتج إرتجل هذا البوح من عندياته:  
لا ترحل  
فنجمك في السماء منطفئ  
وفضاؤك رصاصي  
ودرب التبانة في طريقه إلى المطاف الأخير  
وبنات نعش يولولن على من في النعش  
من في النعش؟  
من؟  
من؟...  
لا ترحل  
فرحيلك سيضيع بين أنياب خمبابا  
وآثار خطاك ستفترسها خطى الزمن الأهليلجي  
لا ترحل...  
ثم وضع وسادة على وجهه بعد أن فضحت نحيبة نبرة  
إلقائه الموجه.....  
وضحى ذلك اليوم حملت حقيبتني وتأكدت من جواز

السفر، قبلت وكاتفيت والدي ونهلت من عينيه الجكّد، ومن بسمته الأمل، ومن هالة هامته القوة والبأس، وهذرت مع شقيقتي وأخوتي الثلاثة، وعندما ودعتها ساحت الدموع من عينيها عيناً من ينبوع يباري نقاءها شفافية الطل على وجه ورقة خضراء، وعند عتبة الدار رشيت الخطوة الأولى من رحلتي بزخات من ماء صافٍ ينغرف من إناء نحاسي بكفها... والآن، وجسدي يعطي ما للغرفة/الجنة حقها من أتعابها أفكر بجذ وأتساءل: هل حقاً أن هاجس المرأة، وخاصة إذا كانت أمّاً - صادق لا يخطئ البتة، وأنها بحكم تركيبها الأنثوية تتنبأ بالنوائب قبل وقوعها؟ ربما؟!

لا بد أنك ستسري لنفسك وتقول: أين الموضوع؟ وما علاقتي بالأمر، ومن هو هيثم هذا؟ وما شأنني به وبسفرته؟ يا سيدي، حنانيك، هنا ستبدأ رحلتي الفنية والشائكة التي أستطيع أن أقول رحلتي اليوليوسية ولكن الذي أمضى عمره الفتى في الانتظار ليس بينولوبي وهي تحوك حرير الزمن الآتي الغامض، بل كوة صغيرة في ديجور زماني المقيت لكي أنسج من خيوط الشمس الطالعة من رقادها أو مماتها حبل نجاتي إلى الهواء والفضاء والحرية، فرحلتني مع التيه بدأت في اليوم ذاته الذي نفضت حدائي به غبار عتبة محطة قطار مدينتي الشمالية، حين احتضنتني إحدى

عربات القطار الحديث الراكض إلى أول مدينة دونتها في مفكرتي لتكون المفتاح الذي يفضي أبواب المدن الأخرى القادمة الرافلة في سحب الذاكرة العسجدية... كان كل شيء يسير بصورة روتينية، القطار يركض بين الحقول الغناء المستحمة بأشعة شمس تستمد ألقها وبريقها من نفحات نيسان المنعشة والطيور ترنق في الفضاء اللازوردي ببياض ريشها الأخاذ البارق، وضحكه الصباح الوليد تداعب وجوه الركاب فتشيع في الأرواح والأنفس رعشة انتعاش بديعة، والركاب بين نائم ونصف نائم، وبين مستيقظ ونصفه، وكان جليسي على المقعد نفسه يتفحص مجلة أنيقة ملونة يتصدر غلافها صورة المطرب اليوناني "ديمس روزس" بوجهه الذي يستمد حيوته من كتفيه العريضين وجسده البدين، حين حصل ارتطام وتوقفت العربية للحظة وامضة قاصفة، ثم عاد كل شيء إلى ما كان عليه، إحساسي تنشق تبديلاً فريداً غريباً عندما ملمت طي أهدابي العالم من جديد، وأول شيء سجله وجداني التغيير الذي حصل في كينونة العربية والجلوس، فالمقاعد استحالت من وردية مطعمة بالأخضر إلى رمادية مخططة بالسواد، والسحن صارمة بلهاء حزينة بلا إحساس، تتشابه فقط بتلك النظرة الحائرة المتشككة الراجعة، سارع نبرة تساؤلي إلتفاتي إلى

جليسي.

- ماذا حدث؟

كان الجو خارج العربية مناقضاً تماماً عما قبل: السماء متوشحة بالقار، الأرض وكأنها حرثت بمهاميز من نحاس وقد انتحبت جذازات عشبها المتفحم، الطيور نافقة ملقاة على قارعات الطرق، الشيء الوحيد الذي حافظ على بنيانه هو النهر الذي كان يسابق القطار فقد بقيت مياهه زرقاء ناصعة شفافة معطاءة، تعمق سؤالي

- حدث شيء ما؟

وألحقت ملاحظتي.

- شيء استثنائي خارق.

واصطدمت عيناى بعيني جليسي وفلتت الصرخة من

فمي.

- من أنت...؟

وقبل أن يجيب صفعت فضاء العربية بهذا السؤال

- أنت لست جليسي؟

- بل أنا هو.

- جليسي كان شخصاً آخر؟.

- بل أنا جلست معك في المقعد منذ بدء الرحلة.

- مستحيل... جليسي كان رجلاً آخر؟!

تمالكت نفسي وفكرت.. ثمة أمور غير طبيعية حدثت منذ هنيهة: الارتطام القصير العنيف، التغيير الكامل في أجواء العربية وخارج العربية، والرجل الذي يجاورني في مقعد العربية يختلف تماماً في قسماات وجهه وتفاصيل جسده عن الرجل الذي كان يطالع المجلة... قطعاً إن ثمة شيئاً غير طبيعي في الأمر.. وعانقت رؤاي قطعة حديدية مكتوب عليها عبارة (شرق المتوسط) في الرصيف المضيء وحده فقط في بناية محطة تسامر الظلام وصفير الريح، فسألت جليسي بدهشة

- لماذا توقف القطار؟

- نحن على حدود دولتنا...

- أية دولة؟

- شرق المتوسط

قلت، بل صرخت مستكراً...

- ولكني أقصد (.....)؟

إندارت الوجوه نحوي، وجوه الجالسين في العربية وفي أمائر العيون خوف وأسى وعطف دفين، وكانت آخر ما سمعته نبرة تعاطف حقيقي من جليسي على هيئة همسة خافتة جداً.

- ما الذي جاء بك إلى الجحيم؟

ثم تكممت الوجوه بخيوط الصمت، صمت حيك من  
القصدير، وامتلات العربية بضجيج الصمت المصطدم  
بقامات لم يكن لها وجود قبل هنيهة.

\*\*\*\*\*

- ما أمر أناس المدينة؟

أسرت لحشيتي وأنا أصادف، أنى ما اتجهت، وأنى ما  
ولجت، وأنى ما اقتعدت، في حديقة مجزوزة العشب، أو محل  
بلاطه أسود وواجهته أكثر اكتئاباً من ليل يبحث عن ذاته  
المختطفة، أو وجوه صافنة صامته جهمة فزعة وهي  
تتخاطف بعجالة لتلتحف زقاقاً أو بناءً رمادياً، الشيء  
الوحيد الذي يتكرر في مخيلتي تلك الحرية في التحرك  
لقامات ترتدي معاطف وقبعات رصاصية ورمادية وسوداء،  
تشبه تلك القامات التي نبتت من أرضية عربية القطار أو  
هبطت من سقفها، فهذه القامات تتبعني مذعانق كعب  
حذائي رصيف المحطة مثل ظلي..... أفرى احشائي جوع  
ممض فولجت مطعماً واقتعدت أول منضده، وحين وافاني  
النادل بقدم تتقدم خطوة وأخرى تتقهقر اثنتين، وخاطبني  
بأدب جم...

- أمرك سيدي؟



- دجاجة مشوية من فضلك.
- أنحنى بأدب جم وهمس بتوقير مبالغ فيه، وعيناه  
تحيطان بالقامات التي ملأت المقاعد الأخرى من المطعم..
- حاضري يا سيدي المبجل.
- وبعد قليل جاء النادل يحمل صينية وحالما وضعها أمامي  
نهضت كالملدوغ وصرخت...
- ما هذا؟
- عفواً سيدي، ما طلبت..
- ولكني طلبت دجاجة..؟
- وأنا أتيتك بها.
- كدت أتقيأ وأفرغ حتى قلبي، ثم قلت بحدة.
- هذا جنين إنسان مشوي يا صاح.
- وتفاقت الرغبة في الإفراغ فهرولت نحو الحمام وصارت  
المغاسل مستقبلات لكل حيرتي وتقززي وحيرتي وتوجسي  
من المجهول الآتي، وحين رفعت وجهاً كله عينان جاحظتان  
دامعتان سمعت صوت النادل عميقاً أسراً مؤسباً متأسياً...
- حسبتك أيها المحترم منهم... بل قائداً لهم...
- بالكاد خرج التساؤل مزيجاً من النبرة والتجشؤ...
- من هم؟

- أصحاب المعاطف والقبعات.

- ما بهم؟

- الكابوس.

ومثل سجين صدأ لسانه من الصمت أُعتق لسانه.

- إن ما تراه ليس غريباً، لا غرابة أن أقدم لك رأس  
طفل على ثريد، أو أطراف جنين مقلي بدهن مستخرج من  
طفل، أو أن نقدم لك كراعين جنين مع صحن برغل... وإلى  
آخر هذه القائمة من مأكولات هذه المدينة التي هي عبارة  
عن ديجور لا ينتهي...

- شرق المتوسط!

- أجل أيها الموقر، إنها المدينة التي هرب منها رجل واحد  
بمعجزة سماوية.

ثم وبعد أن بلع ريقه وانبسطنت شرايين وأوردة رقبتة.

- وكتبها في كتاب...

فقدحت فجأة في ذاكرتي توصيفات وتفصيل الكتاب،  
فهتفت.

- عبد الرحمن منيف...

- صدقت يا...

وغب صمت متوتر، لهج بصوت عالٍ.

- ليس غريباً ما تراه... الرجال مجرد تماثيل، النساء شواخص فزاعات، والأطفال مفتقدون مطمورون من قبل آبائهم وأمهاتهم في حشايا الجدران أو السراديب أو الحقول أو المجاري خوفاً من المصادرة...  
ثم تلوى متألماً ينظر بعينين زجاجيتين شلالاً من الدم يتدفق من صدره والمكان تستوطنه المعاطف والقبعات.

\*\*\*\*\*

- الهؤلاء...

قلت لنفسي والقبعات والمعاطف تنهي تشكيلها للإحاطة بجسدي في منعطف شارع فسيح، لا أدري لم أطلقت عليهم هذه التسمية التي استمدتها من رواية جديدة لمجيد طوبيا، كنت أقاوم أمواه الجوع الكافرة حين تقدم أحدهم وخاطبني بأدب جم.

- اتسمح.

اجبته متصنعاً الدهشة.

- نعم...!

- أرني هويتك

- لماذا؟ هل من خطب؟

- إنه إجراء شكلي...

قال ثانٍ يلوٲ وراءه...

- إنه مجرد اشتباه...

- اشتباه؟ ما الأمر...؟

- نحن نبحث عن قاتل.

صدق توجسي، استدرجوا الضحية نحو الفخ.

- قاتل حامد.

سألت باستغراب

- حامد... من يكون حامد؟

قطع أكثرهم جهامة وصرامة هذا السيناريو بنبرة حاسمة

جازمة.

- بطاقتك الشخصية لطفاً...

لا مناص، ليس لي من مندوحة سوى الانصياع،  
فأخرجت هويتي وناولتها له، حالما وقع نظره على صورتي  
واسمي انفرجت شفته العليا، وزمت السفلى، ونبر بصوت  
حاد...

- هو...

أمسكني أحدهم من كتفي الأيمن، والأخر من الأيسر،  
وعمد الثالث إلى لي ذراعِي على ظهري ثم صفّدهما.

\*\*\*\*\*



بوميات



## يوميات (١)

لك أن تصدق أو لا تصدق، أيها الروائي الساحر، إنني ذقت من أطايب استضافتهم لي ما لم تدونه قط في كتابك، أما سهواً، أو مراعاة لأحاسيس ومشاعر القراء، أو لسبب آخر، ولكن ما رأيته وما تلقيته يفوق أي وصف، وأن إصابتي بنعمة النسيان جعلتني لا أذكر إلا البعض منها، ففي إحدى صحواتي على شحتها أذكر أنني صرخت بهم...

- هراء... هذا هراء، أنا لست قاتل رجب، بل أنتم..!  
هتف نوري وقبضته تغازل مقبضاً يحوط بعظمة حوضي، فأشعر أن عضوي ينفصل عن جسدي.  
- من الذي أفحمك بهذه المعلومة الخاطئة؟  
- بعدما وهبتموني من نعم، لم يبق لي فسحة من شك بعيد الرحمن منيف.

همس بهدوء مفتعل.

- أين التقيته؟

- لم التق به، ولكن بعد ما لمستته فيكم خلال استضافتكم لي، فإن ما سرده في روايته (شرق المتوسط) هو



غيض من فيض الحقيقة .

كنت معلماً من مؤخرتي، وهذا أسلوب أبتكره نوري  
واستحق عليه وسام الدولة من الدرجة الخاصة، إذ يقوم  
بخطاطة إليتي الرجل بسلك ناعس شفاف الكتروني طبعاً -  
ثم تعقد حلقتان وترتبطان بسلك آخر يتصل بالسقف  
بواسطة بكره، والقدمان مربوطتان بسيرين من الجلد  
يتصلان بعلة في الأرض وحين يديرها نوري يشتعل الألم  
الممض في الإليتين المشدودتين والساقين المتدليتين نحو  
الأسفل، صرف أسنانه وهو يدير العلة إلى أقصى ما  
تسمع ...

- أتؤمن بما يقوله هذا المخرف ... هه؟

- كدت أنكر ذلك وأضع ما صورته أخيلته الخصبة تحت  
باب الخيال الجامح ...

وأكر على أسناني كاتماً صرخة ألم ممّضة ...

- ولكن ...

وبعد ضحكه مستفزة همست ...

- وأنا في ضيافتكم، ألومه على عدم إحاطته بالحقيقة،  
على الأقل كما هي، وبلا رتوش ...

صرخ بجماعته وقد مسه جنون مدمر ...

- أريد منيف هنا ...

وغب فترة صمت متوتر...  
- أريده هنا مهما كلف الثمن.  
ثم غبت عن الوعي...

\*\*\*\*\*

## يوميات (٢)

لليوم الثاني والثالث، لا زلت أعيش في فسحة لا تقل عن ستين سنتماً، وجسدي العاري مربوط بسيور محززة من حديد، وصدري وظهري عبارة عن ثقوب مفتوحة الأشداق، ورأسي الحليق الذي سلّخت أجزاء من قرعته مثبت بحلقة من سيور جلدية بمثبت على الجدار، وليس ثمة أي مجال لتحريك الرأس، وبقعة واحدة حسب من فروة رأسي المسلوخ تستقبل كل عشر ثوانٍ قطرة ماء مالحة تتوي جراحه ويتدحرج السعير محتلاً كل ثقب في صدري وظهري، وكلما أغيب عن الوعي يظهر سطل ملون شفاف من الجدار الجانبي ويرشني بماء بارد منعش فأصحو، لأبدأ رحلة جديدة من الألم الثاوي.

\*\*\*\*\*

### يوميات (٣)

- انتم تعرفون تماماً أنني لا أمت إلى حامد بأية معرفة  
وإني مجرد مسافر يبغي سعة الإطلاع، وإني دخلت مدينتكم  
بالمصادفة، فكيف أعترف بقتل إنسان لم أعينه قط.  
نظر نوري إلى عيني يستشف أغوارهما ولم يحر جواباً ثم  
عمد إلى كأس ماء وقربه من شفتي، وحين أحس أن ما أراد  
حقق مبتغاه أبقى الكأس بيده بعيداً عن متناول فمي، ثم  
قال...

- أعترف لكي ترتاح.

- سأعترف...

أنتشر البشر في محياهم... ولكنني استدركت.

- بشرط.

زارت الصرامة وجهه، ثم لانت عريكته وقال لأحدهم.

- أنزله.

كنت معلقاً من أطراف الأربعة، مثل صيد نفيس معلق  
على جذع شجرة مقلوعة يرتكن طرفاها على كتفي  
صيادين، فيما يزفه الآخرون بالغناء والتهتاف والصنوج

وحين يطأون الأرض التي هُيأ فيها النار والسفود يتحلقون  
حول الصيد ويطلقون هتافات الفرحة والحبور، وحين  
انزلوني هتف أحدهم بحبور طاغٍ.

- إنه ممهور...

والممهور هنا كنية عن الإنسان المخصي إذ نسيت أن  
أخبرك أنهم في إحدى الجلسات البكر فطن أحدهم أنني  
بكامل ذكورتني فصرخ صرخة كولومبس.

- إنه ليس ممهوراً.

فاندفعت شفرة وكلاّبة، فتولت الثانية إبعاد فخذيّ  
وأنجزت الأولى حزّال... لتكتمل سمتي التي تجعلني منتمياً  
إلى ضحايا السجن الرهيب. وصحوت على تساؤل نوري.

- ما هو شرطك؟

قلت وأنا أغرز شواظ نظراتي في عينيه.

- كيف قتلتم حامد؟

- بعد موت رجب.

قاطعته بنبرة ثاقبة هزته للحظات، ثم استتلى.

- قل... بعد أن قتلته أنت و...

أشرت برأسي إلى الأجساد بحركة نصف دائرية، تمالك

نوري زمام حرده وقال بصوت جعله عميقاً.

- بعد أن قتلت رجب، جاء دور حامد الذي أصبح نسخة

- كربونية من رجب، قررت أن أتسلى معه...
- وبعد أن مخط بطريقة تثير التقيؤ وأصل كلامه.
- وكنت آنذاك أحاول أن أجدد وأطور طريقة قديمة في اللعب لم نستعملها معك لأنها غدت كلاسيكية جداً..
- وغب فترة صمت افتعله كي يبلبل أفكاري، قال ببطء متعمد.
- كنا نضع الأنشودة في عنقه ونؤرجحه برفق في الهواء وحين كانت عيناه تجحطان وشفثاه تزرقان كنا ننزله...
- والتقط حبة عنب، ألقاها في الفضاء والتقطها بفمه، وبعد أن بصق حباتها، قال من بين أسنانه.
- وفي إحدى المرات تأخرنا في إنزاله.
- وضرب كفاً بكف بطريقة مسرحية وقال...
- نكد حظه.
- صعد الدم إلى وجهي فصرخت...
- قتلة.
- قال ببرود...
- ليكن... إنني نفذت الشرط، وعليك أن تفي بوعدك.
- لن أعترف..
- تنكث العهد الذي قطعتة على نفسك.
- مستحيل..

أريد وجهه، وجعجع كصنج مسعور.  
- خذوه إلى الجنّة.

\*\*\*\*\*

## بومبات (١٦)

أكثر فنان تشكيلي في عصرنا ونحن على أعتاب الربع الأخير من القرن العشرين، إجتوح الغرابة والميتاجمالية والفتازيا وتفنن في إطلاقها وترسيخها وكان نسيج وحده في الابتكار والتفرد، بحيث عدّه المنظرون والنقاد فلتة العصور، ولا يختلف قط اثنان عليه: سلفادور دالي، الفنان الإسباني الذي طبقت شهرته آفاق الحاضر، وستبقى حاضرة في ذاكرة المستقبل، ولوحاته المبتوثة في المتاحف العالمية، والتي تتسابق أرقى الكاليريها في إقامة المعارض له وتؤمه الألاف من المعجبين من كل مدن العالم، تشهد على علو كعبه وريادته للفن الذي تميز به،.... الغرائبية، حتى شكله كان يتماهى مع إبداعه، فوجهه يتشكل في تفاصيل جغرافية عجيبة، في تقوس حاجبيه، وعينيه النافذتين المدورتين التي يجعلها غالب الأحيان في حالة انبهار، وشعره المسنود على جبين ونحر على هيئة تموجات، وليس آخر هذه التضاريس الغريبة شارباه المتصقران على جانبي خط أنفه وقد رفعا طرفيهما كجناحي صقر يتهيأ للإنقضاض



على فكرة تجاوز المنطق، هذا الفلته لو تهياً له معاينتي وأنا في وضعي الذي ابتكرته أخيلة نوري وخذادته، لألقى ريشته وتأملي بعمق تصاحبه رغبة تحقير لذاكرة تجترح نقيض ما يحاول ترسيخه من مفاهيم تدفع بالذائقة الإنسانية إلى مربعات مضيئة ترفل بالجمال الباذخ من أجل بشرية تزهو بالرخاء والسمو، فاذا به ب (بشر) يلقبون ما تحاول مخيلته الترويج لها، فهو سيشيح ببصره وباصرته وتتخزل عيناه بالدمع وهو يحتوي في دخيلته صورتني وأنا: ..... جسد عارٍ أسبح على وسادة هوائية ساخنة، ينبثق من أعماق لجتها أنبوب مطاطي ينتهي بقمع حوافه صمغية تلتصق بألبيتي العاريتين، ويضخ بتاغم مع رد فعل أحشائي هواءً ثاوياً كاوياً واخزاً مقدداً يترامى صاعداً من مستقيمي نحو المريء جاعلاً من حشايي طعاماً سغباً سائغاً شهياً لروحي الجائعة الضامئة، وبعد أن تنهي معدتي قضم ومضغ وعلس وهضم ما تجود به حشيتي من نفائس الغذاء، وبدل أن أشعر بالشبع يزداد جوعي ضراوة، وحين أتمنى أي شيء وأنا أفتح مقلتي جيداً لأبصر ما يحصل في أحشائي لعل الشبع والإرتواء يراوداني ثانية مثلما يحدث كل مرة عندما أتفرج على الشاشة الكبيرة أمامي على الحائط حين أشاهد ..... ((أحشائي تصير سماطاً ممدداً أمام معدتي

التي لم يعد لها هم سوى النهش.... نهش قريناتها بدءاً من الإثني عشري وحتى المستقيم مروراً بالكبد والبنكرياس والأمعاء الدقيقة والغليضة والمساريق وحتى الزائدة الدودية، وكلما نهشت قزمة كبيرة إزداد شبعها جوعاً يفري حتى نواة خلايا جسدي الأخرى))، وأصحو على الهواء الكاوي الثاوي الواخز المقدد وهو يعاود تدفقه إلى أحشائي، ليعاد فصل جديد من الإذلال، وأنى بكون الهوان حين أرى هيئتي في الشاشة وقد ربطت يداي إلى ظهري لتلتقي بقدمي المربوطتين في حوضي بطريقة تعاكس تماماً وضع الجنين في رحم أمه، وفي تواشج غريب ربط نوري ورجاله كفي اليمنى بكاحل قدمي الأيسر بسيور من حبال نايلونية مؤلمة، وكفي اليسرى بكاحل قدمي الأيمن، أما رأسي فمثبت بخوذة ينبت من قمته أنبوب حديدي يتسلق الفضاء ليتواشج في عناق سيامي بحلقة حديدية نابته في السقف، ومن جانبي الخوذة لصق أذني يتدلى خيطان مرقمان ويحيطان برقبتي في إحكام يمنعان رأسي من التحرك إلى اليمين واليسار، إلى أعلى وأسفل....

وما أسرده من تفاصيل دقيقة من وضعي الفريد الإستثنائي في (المطعم السياحي) بحسب تعبير نوري، لم يكن بالجديد عليّ وما كان حرياً به أن أدونه، ولكن ثمة

هاجس لم أستكنه كنهه هو الذي دفعني إلى ذلك، لأجلي نموذجاً من نماذجهم العديدة، بل الكثيرة، في أفانين تحطيم الإنسان، خاصة مع أولئك الذين لديهم طبع البغل في عناده من أمثالي، فإنهم يبدأون بتجويع النزير حتى تقرى أحشائه، وحتى يوصلونه إلى مرحلة البلاناريا... ذلك المخلوق المجهرى الذي حين يجوع يأكل أحشائه بدءاً من الذيل وحتى الرقبة، وحين تنهياً له الظروف الملائمة تنبني أحشائه من جديد ويُعاد شكله، أما سجين نوري فإنه يثرد أحشائه روحه، ولن يعوض كبريائه المشرودة في قصعة المهانة والإذلال، المهم أن الذي يحدث حينئذ، أن ثمة فيلم يعرضونه أمامي يجسد صوراً لجماعة من "الحيو- بشر" وهم يجلسون في قاعات أنيقة تنفرش أمامهم سفر مليئة بكل ما تشتهي النفس من أطايب اللحوم وما تجود به قرائح الطهارة المحترفين من أكالات، وهم يلتهمون هذه الموائد بشراهة، مما يجعلني أغمض عيني وأنا أتوسل الألم أن يفارقتي لهنيهة، ولكن كيف يتحقق هذا والقمع في الإست يقوم بدوره كما هو مرسوم، والرغبة في تقمص البلاناريا تزداد بعد كل دفقة هواء ساخن يدخل أحشائي... وأصحو على صوت خزف يتصادم، أفتح عيني لأجد أمام فمي سفرة موضوعة في صينية مطلية بالذهب تحتوي على نموذج مما عرض عليّ

قبل قليل من أطايب الطعام، ورائحة شواء لحم الحملان  
والحمام والضآن تدخل خياشيمي مترادفة مع نبرة تتصادى  
من فم نوري الواقف ازاءها وهي تكرر.  
- إذا تناولت أية قزمة ستتضغط الأنشطة حول  
رقبتك درجة واحدة وهي كافية كي ترسلك إلى الجحيم.

## يوميات (٤٠)

كل إشراقة، وكل إغماضة شمس، كانت ليالي عمري تترى  
كدياميس تتغذى هواءً راكداً مشبعاً بالزوال، وأنا في كرفٍ وفرٍ  
مع قوتين تحاولان ترويضى بدءاً لفنائى وإسباغ شرعية  
لجزائى المودى إلى العدم، الأولى: مطاولتى ومماطلتى  
وتسويفى فى سبيل إجلاء كل شىء، والثانية إيجاد بصيص  
من الأمل للانعقاد من الآتى الزقوم المنتظر، وكان ضريبة ما  
أدفعه، ذلك العذاب والألم الذى لن تستطيع مئات  
الصفحات من استيعاب لبها، ولأن لكل شاطئٍ آخر يقابله،  
ولكل ألف ياءٍ تنتظرها، كان لا بد من رسم المستقيم بين  
النقطتين، فأنصعت وبالتدرىج إلى مصيرى وكان القرار  
يتشكل فى حشيتى.

## يوميات (٩٠)

مذيع التلفزيون الأنيق يقدمني إلى المشاهدين.

- سيداتي سادتي... يا أحرار دولة شرق المتوسط  
الزاهرة.. حرصاً على حكومتنا المباركة "لاحظ أيها المحترم  
منيّف... المباركة هذه"، في إشاعة العدل والمساواة بين  
المواطنين، ولتمتين أمن ووطننا وصونه وحمايته من الدخلاء  
والأوباش والجواسيس، تعلن وزارة الداخلية في وطننا الراحل  
بالعدل والسعادة إلقاء القبض على مجرم خطير تسلل إلى  
وطننا، موظفاً من بلاد معادية في مهمة قذرة هي اغتيال  
المواطن الشريف (حامد)

وبعد أن قذف نظرة خاطفة إليّ تابع...

- والآن سيشرح لكم المجرم هيثم بهنام بردى تفاصيل  
فعلته وجريمته الشنعاء.  
..... "قال نوري.

- ستظهر هذه الليلة في التلفاز، لتتحدث عن تفاصيل  
اغتيالك لحامد..

- أجل، واضح، ولكن لي شرط.

- هتف بحنق..
- لقد أتعبتنا يا هذا..
- إنه شرطي الأخير..
- عدنا إلى نقطة البدء.
- وصرخ بجنون.
- عبد .
- إطمئن، سأشرح كل شيء.
- قل... ماذا تريد؟
- قلت وأنا أشدد على مخارج الحروف.
- أريد أن أرى أنيسة؟
- زوجة حامد..
- قال نوري بنفاذ صبر، واستطردت بهدوء وبنبرة توكيد
- وأخت رجب!
- طلب متأخر..
- لماذا؟
- لحقت بالركب؟
- كيف؟ ومتى؟
- بعد موت زوجها حامد، نشرت مذكرات أخيها رجب  
في صحيفة معادية لدولتنا الزاهرة، فاعتقلناها وفق مذكرة

- قضائية، وذات ليلة ونحن نحقق معها رحلت...  
- إلى أين...؟  
صرخ نوري بنفاز صبر وقد طفرت أوردة رقبته.  
- إلى الجحيم.  
قلت ببرود صقيعي مستفز.  
- إهدأ يا رجل..  
وعقب فترة صمت سألتُ بطريقة تستفز حتى الرضيع.  
- هدأت؟؟!  
قال وهو يركز على نواجذه..  
- هدأت..  
قلت من خلل ابتسامه زاهية..  
- والآن؟  
- ماذا؟  
- كيف؟  
- ضاجعها خمسون رجلاً في مقدمتهم أنا و.....  
وبعد أن عبَّ شهيقاً عميقاً همس.  
- ايه... حال الدنيا.  
خرجت الشتيمة من قلبي حقيقية جلية صادقة.  
- أولاد زنا"



قال المذيع..

- وألان سيحدثنا المجرم عن التفاصيل الكاملة لعملية الاغتيال وتصفية المواطن البريء حامد .

فتكلمت بإسهاب محاولاً تجسيد عملية التصفية كما أرادها نوري بالضبط، وحين أنهيت كلامي، تناول المذيع وبصورة احتفالية ورقة على يمينه وخاطب المشاهد بنبرة صارمة.

- وبعد أن مثل المجرم أمام المحكمة التي خولها شعب (شرق المتوسط) الرافل بالرفعة والعزة والكرامة، وبعد الاستماع إلى الشهود وأقوال النقض والثبت، والاستماع إلى أقوال المتهم، وبعد ثبوت إدانته بالدلائل الدامغة، أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المجرم هيثم بهنام بردي شنقاً حتى الموت وفق الفقرة (11) من المادة (99) من قانون الشعب.

وبعد أن رسم ابتسامة ظافرة على وجهه جهر قائلاً.

- ونحيط المواطنين علماً بأن التلفزيون سينقل وقائع إعدام هذا السفاح.

\*\*\*\*\*

ألقوني في عتمة وعفونة الزنزانة، قال نوري.

- فجر الغد، ستتحول إلى لا شيء.

لم ألقِ بالألِّ لعبارته، بل جلست على الدكة أفكر في أمي وحلمها ومحاولتها اليائسة لمنعي من السفر... واستحضرت في خاطري كل الوجوه التي صادفتها في محطات حياتي الحافلة بالفوض وابتكار الابتكار وخلق أناس على فراديس أوراق صقيلة أدمنوا لعبة تبويس اللحي والعثانين، وتذكرت قصصي التي نشرتها على استحياء وقصصي الأخرى التي تحاول ان تشرئب بأعناقها طالعة من قمقم أدراج ذاكرتي، ثم أغمضت عيني مسافراً وممتطياً سهوات فجاج ووهاد وراسيات والمدن المغتسلة برمل الفجيعة والنسيان والإهمال، وفي الأرض التي أمحلت بوهج الرعب والصمت المخاتل، والموت الذي تلبس هيئة شبح غير مرئي يحصد بمنجله الوامض الزرع والضرع والشهيق والجنين، الهواء، الهمس، الصائت منه والصامت... وتوامضت أمامي صورة النادل، والأجنة، والنساء، والنهر المنتحب، والأعمدة التي ترثي مصابيحها المستباحة، والشمس المعلقة على أفاريز أعمدة الجسر والتي تفتقد من يصرخ بوجه عسس الليل المحلولك.

- أما آن لهذا الفارس أن يترجل..

آه.. أيها الروائي الأصيل، إنني أرى الأمل، فرغم السخام  
المهيمن، إلا أنني أرى القامات المطمورة في طمى الأزقة  
البائسة، توظف دياميس واقعها العصي المبتلي بسعير  
جحيمي ليوم الانعتاق، فما أجمل أن تحترق العنقاء وبرضا  
وقناعة وأمل مرتجى بولادة عنقاء جديدة يافعة، نابضة،  
نافرة، وعيناها شمس جديدة تهمني وتحرق السيور  
والأصفاد والزنازين والانشوطات.

نهضت وسحلت عودي القصب اللذين يتسميان باسمي،  
والوهن يتسرب منهما إلى حوضي وعمودي الفقري وراسي،  
وارتقيت نتوءاً صنعته بأظفاري ونحته في الجدار وحدقت  
من خلل حديد الكوة.. ليل حزين ينعى نسغه الصاعد  
والهابط، غيوم جهمة تتعاضد مع الصمت والتوجس  
والغموض، ومدينة متهالكة تعبئة صافنة ثكلى، تتحمم  
بالوجع والترقب والعممة الساجية التي يخترقها بين فينة  
وأختها وميض بحجم نافذة في سرداب بيت او عليّة،  
والعسس ينتشرون انتشار النار في الهشيم في جيوب  
المعاطف، وخلف صواوين الأذان، أو حذاء أطراف شوارب، أو  
بين طيات الشفاه، أو في حشايا الذاكرات، وهي بعيونها  
الثعلبية وآذانها الفيلية تتلقط الأفكار ونظرات العيون  
وهمس الشفاه، وحشرجة رئة، ورنه قلب، وتتناسل من بين

أناملهم التقارير السرية، جوازات السفر نحو هيدز،  
أحسست برغبة عارمة في القبيء، أن أتقيأ الألم والرعب  
وانتظار الآتي المدلهم كي تتطهر روحي، ولكنها عصت  
فدخلتني مصفدة بها ولا فكاك لي من هذا الثالوث الثاوي  
المقدد، وبرقت السماء ثلاث مرات متتالية، في الأولى نظرت  
مدينة أشبه بطلل دارس ينتظر شاعراً يؤنبه، في الثانية  
رأيت المدينة امرأة جميلة جداً، رائقة جداً، شابة جداً، تخرج  
من أحشائها جيوش من أجنة تتوسم جباههم بالشمس، وفي  
المررة الثالثة تحولت المدينة إلى فرسان صارمي الملامح وهم  
يتقدمون وفق نسق تنظيم نحو الحصون الرابضة في قمة  
الوهم، تزغرد لهم شمس اعتقوها من بوابة الجسر، وترف  
فوقهم أسراب من حمائم ونوارس وعنادل، تتجحفل أمامهم  
أغاني شعراء ماتوا بحسرة أن يروا قصائدهم رايات تتقدم  
الصفوف نحو الحرية، فأفتر ثغري عن نشيد حفظته عند  
طفولتي عن الحرية، وعندما فرغت من الغناء، همست بوله  
صبي افتتن بغتة بالقمر..

- نعم... نعم... الأمل قادم.

ثم رأيتك أمامي، فوق البحر الذي يلطم سرفات زنزانتني،  
تتظرالي بشعرك الفاحم المجدد، ونظاراتك الطبية  
السميكة وابتسامتك الرائعة وأنت تهمس.

- هيثم.

أجيبك مأخوذاً..

- بصيص شمس.

- هو كذلك.

ثم استقلت صهوة غمامة ربابية فتسلل فيض من الراحة والدعة إلى جوانحي، وفجأة، وبدون أية مقدمات، قدحت الفكرة في رأسي جلية واضحة، فقلت وأنا أقتعد دكتي الأزلية.

- أكتب رسالة إلى عبد الرحمن منيف.

ولا أدري... هل هي المصادفة، أم أن ثمة شيئاً نادراً يحدث اللحظة، هل أن الحظ كاتقني وساندني، أم أنه غباء العسس، أم ثمة افتراضات أخرى لا تحل هي التي أوجدت أمامي قنينة زجاجية فارغة وصماغ وشريط لاصق، حاولت أن أمنطق الأمر واضح تفسيراً معقولاً لوجود هذه الأشياء في زنزانة رجل ينتظر فجرًا موؤوداً، ولكن على حين غرة وكينونتي تتملى أوراق المکتوبة والقنينة واللواصق تذكرت قصص مغامرات القرون الوسطى ورواياتها الكثيرة، لعل أبرزها دي مونت كريستو، والفرسان الثلاثة، وبارديلان، وتارتان، ..... الخ، وأنصاف الحلول التي كانوا يجترحونها لتأتي بهم في نهاية المطاف بالحل المعجزة لينهي الروائيون

رواياتهم بطريقة دراماتيكية تجعل ذائقة المتلقي تصفو وترتكز على حلول مفترضة تجعل النهايات طافحة بالسعادة يطوي خلالها الصفحة الأخيرة منها مغمض العينين رائق القسمات وهو يجترح في ذاكرته المشهد الأخير السعيد، فهمست لنفسي بالشعور نفسه الطافح بالبشر.

- هل هي المصادفة؟

ثم لكمت الهواء بقبضة قاتلة النبرات.

- هل أنا دي مونت كريستو؟

وبطريقة فرسان القرون الوسطى الاحتفائية المبالغ في حدقها لفتت أوراقي وأدخلتها فم القنينة الضيق بحذر وحدق ثم أحكمت سدادهما حتى كاد السداد المعدني المتين يتواءم سيامياً مع فم القنينة سابحين في طية الصمغ الذي أسبغته على الاثني بكرم يبرز كرم حاتم الطائي، ثم أنشأت ألفاً فم القنينة وحتى الثالث العلوي منها بطيات عديدة من اللاصق حتى أيقنت تماماً بأنها ستبقى بمأمن من البلل وهي ترقد في القاع أو تنتكب ظهر الأمواج التي تسامرني مذ أولجوني هذه الزنزانة الفريدة الوحيدة في أعلى برج السجن أو الحصن والذي يشبه حصون القرون الوسطى المخصصة للفرسان والملوك المحكوم عليهم بالموت البطيء في هذا الفضاء المعلق فوق شعف قمم جبال قصية منسية

على سواحل بحار تصطبغ أمواجه برعب مسكون وعبق  
يغضب آلهة الرافدين أو الإغريق، أو الرومان أو الفراعنة  
وقلاعها مسورة كالقلادة بالبحر أينما ولوا أنظارهم  
وأفكارهم ووجوههم، تسلقت الجدار، ونظرت من الكوة إلى  
الفضاء حيث النوارس تلوط بالبحر وأمواجه فزعة صائتة  
من النسور التي ترنق في حائق اللازورد، أخرجت ذراعي  
التي تحمل القنينة بصعوبة من بين قضبان الزنزانة ثم  
ألقيتها، وأصبحت أذاناً صائخة مستوفرة وعيناها لاقتطان  
تعاينانها وهي تتهادى في سقوطها حتى ارتطمت بموجات  
البحر، سمعت صدى الارتطام كتأوه طفل أستيقظ للتو من  
رقاد هنيء، وحين عبرت اوقيانوس الترقب نحو سواحل  
اليقين بات البحر وأمواجه أو حشاياه أو قعره، صندوق بريد  
ينتظر من يفتح أقفاله ويتسلم الوديعة، اتجهت نحو مقعدي  
في الزنزانة ببالي صافٍ رائق، ثم سمعت صرير إقفال  
الزنزانة، وبابها وهو يفتح ثم...!!!.



وبقي فمي وفم ذاكرتي مفتوحتين في انتظار استبصار  
واستشفاف ما بعد النقاط الثلاث وعلامة الاستفهام  
وعلامات التعجب الثلاث والنقطة القافلة وبقيت بصيرتي  
تقدح بالسؤال: هل أنه - هذا الهيثم - تعمد أن لا يكمل ما  
بعد ال (ثم) الواخزة المستوفزة الصادمة هذه؟ وهذا التعمد  
يدخل في باب إضافة ترقب لاهج قاصف ثاو للذائقة  
والذاكرة... أم أن السجانين ما تركوا له فرصة البوح بما  
سيأتي لاحقاً وحولوه إلى اللاشيء... هذا الشعور جعلني  
أتأسى عليه، وأنا أتناول كوباً من القهوة المرة المطعمة  
بالمانجا، وأتعاطف مع هذا - الهيثم - الذي أحببته،  
وتعاطفت مع أسلوبه الذي كان ينضوي تحت مفهوم السرد  
الشائع في الربع الأخير من القرن العشرين، وما زاد إعجابي  
به أن أسلوبه في الكتاب يتعاكس مع عمره الذي لا يتجاوز  
ربع قرن، ففي أسلوبه نجد أنه يشي بتقانات كاتب أكبر من  
عمره بسنوات كتار، وهذا ما زاد يقيني على أن هذا - الهيثم  
- لا بد وأنه أصدر كتباً وكتب العديد من القصص التي تنازع  
الإهمال والإقصاء والتهميش، وإنه إذا قبيض له أن خرج من  
(شرق المتوسط) كواقعة حقيقية وليست من بناء أفكاره



كأحداث متخيلة، فإنه لا بد أنه صار شيئاً ما ...  
وشملت الساحل بنظرة خاطفة، كان هدوء الهجير يصافح  
رمال الساحل بخجل واستحياء، والصبية يمرحون في خط  
تلاقي الموج بطلائع الرمال، والنسوة مضطجعات تحت فيء  
المظلات، والدقائق السابقة تسلم أطلس الزمن إلى اللاحقة،  
وقدحت في راسي...

- لم لا أبحث عن باب (منسيون)؟  
ودست زر المعصم، فتغنجت الشاشة أمامي، اخترت الموقع  
المطلوب فانبسطت الحروف الأبجدية بالعربية فاخترت  
حرف (هاء) وبعد بحثٍ ليس بيسير ولا بمضنٍ عثرت على  
ضالتي (هيثم بهنام بردى)، ودونكم ما زودني به موقع  
(منسيون) الموثق في ٢٤/٤/٢٠٩٠ وبصوت رخيم ناعس.

## السيرة الذاتية:

### هيثم بهنام بردى

الأسم الكامل: هيثم بهنام جرجيس بردى

- ولد في العراق/ عام ١٩٥٣ .
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- عضو فخري مدى الحياة في دار نعمان للثقافة اللبنانية.
- رئيس تحرير مجلة (إنانا) التي تعنى بشأن المرأة.

### حضر وشارك في مهرجانات وملتقيات عديدة أبرزها:

- الندوة العربية الأولى للقصة الشابة التي أقامتها مجلة الطليعة الأدبية في بغداد عام ١٩٨٠ .
- ملتقى القصة العراقية في بغداد عام ١٩٩٥ .
- ندوة الرواية العربية في بغداد عام ٢٠٠٢ .
- الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥ .
- الملتقى الرابع للقصة العراقية (ملتقى د. علي جواد الطاهر) في بغداد ٢٠٠٨ .
- مهرجان الجواهري عام ٢٠١٠ وعام ٢٠١٢ .
- مؤتمر ثقافة الأطفال الدولي الأول في بغداد عام ٢٠١٠ .
- معرض إيطاليا الدولي للكتاب في إيطاليا (مدينة تورينو) عام

٢٠١٤، ألقى فيها محاضرة في "القاعة الزرقاء" عن الأدب السردي العراقي الحديث.

- مؤتمر الرواية العراقية - دورة الروائي غائب طعمة فرمان، انعقد في بغداد عام ٢٠١٦.

### **أصدر خمسة وعشرين كتاباً موزعاً على:**

#### **الرواية:**

١. الغرفة ٢١٣ / مطبعة أسعد - بغداد ١٩٨٧.
٢. مار بهنام وأخته سارة/ مركز أكد للطباعة والإعلان - أربيل ٢٠٠٧.
٣. قديسو حدياب/ مركز أكد للطباعة والإعلان - أربيل ٢٠٠٨.
- صدرت باللغة السريانية عن دار منارة في أربيل عام ٢٠١١ ترجمة: كوركيس نباتي.
٤. أحفاد أورشنابي/ دار ثقافة للطباعة والنشر والتوزيع- ابوظبي، بيروت ٢٠١٥.

#### **القصة القصيرة:**

١. الوصية/ دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة - بغداد ٢٠٠٢.
٢. تليباثي/ دار نعمان للثقافة - بيروت ٢٠٠٨.
- صدرت طبعتها الثانية عن دار الينابيع بدمشق عام ٢٠١٠.
- صدرت طبعتها الثالثة عن دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق عام ٢٠١٥.
٣. نهر ذو لحية بيضاء/ دار رند للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ٢٠١١.

٤. أرض من عسل/ دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية، سوريا  
٢٠١٢.
٥. الطوفان/ دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق  
٢٠١٥.

### **القصة القصيرة جداً:**

١. حب مع وقف التنفيذ/ مطبعة شفيق- بغداد ١٩٨٩.
٢. الليلة الثانية بعد الألف/ منشورات مجلة نون - الموصل ١٩٩٥.
٣. عزلة انكيدو/ مطبعة نينوى - بغداد ٢٠٠٠.
٤. التماهي/ دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة - بغداد  
٢٠٠٨.
٥. القصة القصيرة جداً/ الأعمال القصصية ١٩٨٩-٢٠٠٨ / دار رند  
للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١١.

### **أدب الطفل:**

١. الحكيمة والصيد/ مسرحية للفتيان/ مطبعة بيريفان- أربيل  
٢٠٠٧.
٢. مع الجاحظ على بساط الريح/ سيرة قصصية للفتيان- دار رند  
للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٠.
٣. العشبة/ مسرحية للفتيان/ مطبعة الديار- الموصل ٢٠١٣.

### **الإعداد والتقديم:**

١. القصة القصيرة جداً في العراق/ إعداد وتقديم- المديرية العامة  
لتربية نينوى- الموصل ٢٠١٠.
- صدرت طبعتها الثانية "مزيدة ومنقحة" عن دار الشؤون الثقافية  
عام ٢٠١٥.
٢. سركون بولص عنقاء الشعر العراقي الحديث/ إعداد وتقديم-  
إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية\_ أربيل ٢٠١١.

## الكتابة المفتوحة:

-الذي رأى الأعماق كلها/ كتاب انثيالات - مطبعة ميديا - أربيل  
٢٠٠٧.

## النقد:

-القصة القصيرة جداً- الريادة العراقية/ دار غيداء للنشر والتوزيع-  
عمان- الأردن ٢٠١٦

## سلسلة مبدعون عراقيون سريان:

١. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية/ إعداد  
وتقديم - إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية -  
أربيل ٢٠٠٩.

- صدرت طبعتها الثانية عن دار تموز للطباعة والنشر - دمشق  
٢٠١٢.

- صدرت ترجمتها إلى اللغة الكوردية من قبل أحمد محمد إسماعيل  
وصدرت عن المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية عام ٢٠١٢.

٢. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية القصيرة  
جداً/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ٢٠١٢.

٣. روائيون عراقيون سريان في مسيرة الرواية العراقية/ دار تموز  
للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٢.

٤. كتّاب أدب طفل عراقيون سريان في مسيرة أدب الطفل العراقي/  
مطبعة شفيق- بغداد ٢٠١٣.

## كتبوا عن تجربته في كتابة القصة القصيرة جداً والقصة القصيرة والرواية

### وأدب الطفل:

د. عمر الطالب، د. محمد صابر عبيد، د. خليل شكري هياس، د. فيصل القصيري، د. نبهان حسون السعدون، د. علي أحمد العبيدي، د. سالم نجم عبدالله، د. فيصل النعيمي، د. نادية هناوي سعدون، د. جميل حمداوي (ناقد مغربي) د. ثائر العذاري، د. فاضل عبود التميمي، د. جاسم خلف ألياس، د. سمير الخليل، د. محمد أبو خضير، د. علي صليبي المرسومي، د. إيمان العبيدي، د. فاتنة محمد حسين، د. جاسم الخالدي، د. قيس كاظم الجنابي، د. سوسن البياتي، د. مثنى كاظم صادق، د. إيمان عبدالحسين، د. فرح أدور حنا، موسى كريدي، يوسف الحيدري، جاسم عاصي، سليمان البكري، ناجح المعموري، ياسين النصير، عبد الستار البيضاني، صباح الأنباري، زهير الجبوري، محمد الأحمد، ازدهار سلمان، بولص آدم، هناء عبدالهادي (ناقدة مصرية)، بشار عليوي، عباس خلف علي، علي محمد الحلبي، محمود ناصر نجم، إسماعيل عيسى، زهير بردى، سعدون جبار البيضاني، إسماعيل إبراهيم عبد، شاكر الأنباري، علوان السلطان، محمد عطية محمود (ناقد مصري)، جمال نوري، حميد حسن جعفر، حمدي الحديثي، أحمد محمد الموسوي، نزار الديراني، أنور عبد العزيز، شاكر سيفو، جوزيف حنا يشوع، خالد يشوع بربر، محمود ناصر نجم، محمد ابراهيم الجميلي، نواف خلف السنجاري، سمير إسماعيل، وعدالله ايليا، موسى الحوري، سامر ألياس سعيد، شاكر محمود الجميلي،.... وغيرهم.

## كتب صدرت عن أدبه :

### • في الرواية

- دلالات المكان في روايات هيثم بهنام بردى / محمود ناصر نجم /  
مطبعة الدباغ- أربيل ٢٠١٦ .

### • في القصة القصيرة :

١. تجليات الفضاء السردي- قراءة في سرديات هيثم بهنام بردى /  
إعداد وتقديم: أ. د محمد صابر عبيد / دار تموز للطباعة والنشر  
والتوزيع- دمشق ٢٠١٢ .

٢. شباط ما زال بعيداً، دراسات نقدية في المجموعة القصصية أرض  
من غسل لهيثم بهنام بردى / إعداد وتقديم: جوزيف حنا يشوع / مطبعة  
الديار- الموصل ٢٠١٢ .

٣. الكون القصصي، تجليات السرد وآليات التمثيل، قراءة تحليلية في  
المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى / محمد إبراهيم الجميلي /  
مطبعة الديار- الموصل ٢٠١٣ .

٤. المهيمونات القرائية وفاعلية التشكيل السردي في مجموعة نهر ذو  
لحية بيضاء / إعداد وتقديم ومشاركة: الدكتور خليل شكري هياس / دار  
نينوى للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٤ .

٥. جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة، قراءة تحليلية في  
المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى / د. نبهان حسون السعدون / دار  
تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٤ .

## • في القصة القصيرة جداً :

١. حبة الخردل/ دراسات نقدية عن تجربة القاص هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً/ إعداد وتقديم خالص ايشوع بربر/ منشورات اتحاد الأدباء السريان- الموصل ٢٠٠٥. صدرت طبعته الثانية عن دار رند للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا عام ٢٠١٠.

٢. شعرية المكان في القصة القصيرة جداً- قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ د. نبهان حسون السعدون/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٢.

٣. الثريا، دراسات نقدية عن تجربة القاص هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً/ إعداد وتقديم: خالص ايشوع بربر/ مطبعة شفيق- بغداد ٢٠١٤.

## • في الحوار

- أسماء في ذاكرة المدينة - هيثم بهنام بردى/ حوار: نمرود قاشا، تقديم: معد الجبوري/ مطبعة شفيق- بغداد ٢٠١٣.

## دراسات أكاديمية عن أدبه :

- حاز الأستاذ محمد إبراهيم الجميلي على شهادة الماجستير بدرجة "جيد جداً" من كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣ عن رسالته الموسومة (السردي في قصص هيثم بهنام بردى القصيرة).

- حازت الأستاذة نادية نزهة سليمان على شهادة الماجستير بدرجة "امتياز" من كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت، بتاريخ ٢٠١٤ / ٢ / ١٧ عن رسالتها الموسومة: (جماليات القصة القصيرة جداً/ هيثم بهنام بردى مثلاً).



- حاز الأستاذ همام حازم عطا على شهادة الماجستير بدرجة "جيد جداً عالي" من كلية الآداب/ جامعة تكريت، بتاريخ ٢٠١٥/١/١١ عن رسالته الموسومة (العتبات النصية في سرد هيثم بهنام بردى القصصي).

- حاز الأستاذ محمود ناصر نجم على شهادة الماستر بدرجة "إمتياز - بدرجة ٩٠٪" من كلية الآداب والعلوم الإنسانية- دائرة اللغة العربية وآدابها/ جامعة (بلمند اللبنانية)، بتاريخ ٢٠١٦/١/٢٠ عن رسالته الموسومة (المكان ودلالاته في روايات هيثم بهنام بردى).

#### • الجوائز:

- حائز على جائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية لعام ٢٠٠٦.

- حائز على الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦ عن قصته القصيرة "النبض الأبدي".

- حائز على الجائزة الثانية في مسابقة وزارة الثقافة لمسابقة أدب الأطفال/ دار ثقافة الأطفال/ جائزة (عزي الوهاب للنص المسرحي) عام ٢٠١٠ عن مسرحيته الموسومة (العشبة).

- حائز على الجائزة الثانية في مسابقة القصة القصيرة التي أقامها قصر الثقافة والفنون في محافظة صلاح الدين عام ٢٠١١ عن قصته الموسومة (الرسالة).

#### • ورد اسمه:

- في كتاب (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين- الجزء الثالث- صفحة ٢٨١) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٨ لمؤلفه الأستاذ حميد المطيعي.

- في كتاب (موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين - صفحة ٦٠٠)

الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة الموصل - مركز  
دراسات الموصل - عام ٢٠٠٧، لمؤلفة الأستاذ الدكتور عمر الطالب.

• الترجمة:

- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإنكليزية والهولندية والفرنسية  
والإيطالية والسريانية.

\*\*\*